# رَاحَةُ النَّفسِ فِي تَفسِيرِ آيةِ الكُرسِي

**أ.د / عبدُ الحميدِ محمودُ البَطَاوِيُّ**

أستاذُ التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ الكريمِ

بكليَّةِ أصولِ الدِّينِ والدَّعوةِ

جامعة الأزهر فرع المنوفية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا تفسير تحليلي لأعظم آية في القرآن العظيم، ألا وهي آية الكرسي تلك الآية المباركة التي تقوي إيمان المؤمن وتطمئن قلبه، وتقربه من ربه رب العالمين. وقد جمعت في دراستها وتفسيرها بين التفسير التحليلي وبين التفسير الموضوعي حيث أشرت إلى مهمات عقدية، وفوائد إيمانية، وأسرار بيانية، وإشارات علمية، واخترت تفسير تلك الآية العظيمة؛ لأنها أفردت بذكر صفات الله تعالى، وزدت معها بعض أخواتها من الآيات البينات، مع توضيح لما نحتاج إليه من بقية الموضوعات التفسيرية، من الآيات القرآنية.

# الفصل الأول

## المبحث الأول

### بين يدي الآية

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ سورة البقرة.

### أهمية دراسة الإيمان بالله من خلال التفسير .

القرآن الكريم كتاب الله خير من يحدثك عن الله سبحانه لا نحصي ثناءً عليه، لا تدركه الأبصار سبحانه لا يحيطون بشيء من علمه فلا سبيل لنا في معرفتنا بالله إلا عن طريق الوحي الذي يعرفنا بالله تعالى بصفاته وبملكه وبخلقه وبفعله ، وبتشريعه، نعم القرآن يُعلمنا أن الله تعالى هو الإله الواحد الأحد والرب الفرد الصمد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، لا يشاركه في ألوهيته ولا في ربوبيته أحد. فيجب على الإنسان أن يرضى به إلهاً ورباً، ويزداد له حباً وإليه قرباً، ووعليه أن يكفر بألوهية غيره ويجحد ربوبية من سواه، وأن يعبده وحده ولا يعبد أحداً غيره ويخلص دينه لله تعالى ويرفض كل دين غير دينه سبحانه. وقد حدثنا القرآن الكريم عن الله الخالق،

المصرف، المالك، الهادي، الحكيم حديثاً يأخذ بالألباب، ويثير الدهشة من سعته وكثرة ما تضمنه من حقائق ومعلومات شاملة، فمثلاً عند حديثه عن الأحكام فهو يتحدث عن الخالق الآمر الناهي، فالله تعالى لم يدع خلقه لغيره وإنما تفرد بتملك ما خلق ثم هو لم يدع ما يملكه هملاً وإنما تولاهم وتعهدهم بالإصلاح؛ لذا عزمت على كتابة شيء عن الإيمان بكمالات الله التي لا تتناهى من خلال القرآن الكريم، لنقوي إيماننا ونزيده ونجدده. فقد رأيت بعض الشباب يكثر من تساؤلات عن الله منها الصحيح مما يقرب العبد من معرفته بربه العلى العظيم، ومنها ما وسوس به الشيطان الرجيم، ومنها ما أوحاه الشيطان إلى أوليائه من الملحدين والعلمانيين والمبشرين وغيرهم من المفسدين. وكنت أوصي إخواني ألا يتعرضوا للرد على الشبهات علانية خشية أن تلتبس الشبهة بعقول البعض و لا يقتنع بالرد عليها، وكنت أوصي كذلك بعدم الرد على مواقعهم بشبكة الانترنت وكذا مواقع المناظرات والمحادثات لنفس السبب ولكي لا يجرؤ أصحاب الشبهات علينا عندما يجد الرد ضعيفا فيتطاول عُجباً وتيهاً؛ لأنه لم يجد من يرد على ضلالاته، أو يدمغ شبهاته وترهاته. وهممت على الرد على شبههم إجمالاً[(١)]؛ لذا عزمت على كتابة شيء يُحبب العباد إلى ربهم، ويسعدهم برضاه عنهم سبحانه، وأقدم ما يملأ قلوبنا تعظيماً لله العظيم وتمجيداً لله المجيد ،فكان ذلك البحث في تفسير هذه الآية المباركة آية الكرسي ألا فلنكثر من تلاوة القرآن وتدبره فهو رحمة وهدى وبشرى للمؤمنين، وكما قال فخر الدين الرازي: كل كلام اشتمل على نعوت جلاله وصفات

---

[(١)] شبهاتهم وضلالاتهم واحدة ولكننا نجدها بأساليب مختلفة و بطرق متعددة وبوسائل شتى فلا يغرنك تقلبهم في البلاد ولا يهولنك تطاولهم على العباد فهم يتبادلون المواقف وسيمحق الله الباطل ويحق الحق بكلماته لذا سنجد الرد الواحد ينسحب إلى عشرات الشُبه، فالحق أبلج وأقوي، والله المستعان على ما يصفون والله مبطل ما يقولون والله غالب على أمره وإن كانوا لا يعلمون.

كبريائه، كان ذلك الكلام في نهاية الجلال والشرف، ولما كانت هذه الآية كذلك لا جرم كانت هذه الآية بالغة في الشرف إلى أقصى الغايات وأبلغ النهايات[1] .

## اسمها

وهذه الآية المباركة تسمى آية الكرسي
كما ورد في الأحاديث الشريفة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهذا تشريف لها فكم من آية لم تسم باسم خاص وإن سُميت بعض الآيات بأسماء خاصة كما سميت آيات أُخر بأسماء خاصة مثل آية الدين آية السيف آية العز آية التخيير آية التطهير، وذلك لبيان الغرض الواضح فيها كما أنها تسمية من بعض الأئمة أمّا آية الكرسي فقد ورد عن نبينا ﷺ.
وسبب تسميتها بذلك لقوله تعالى فيها ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾.

## صلتها بما قبلها

المتدبر للقرآن الحكيم يجده يحفل بتوحيد الله جل جلاله وتتنوع طريقة التقرير وقد جاءت هذه الآية الكريمة مقررة لكمال التوحيد، الذي اهتمت به سورة البقرة فالتوحيد هو المقصود الأعظم من جميع الشرائع وقد جُبل الإنسان على النقصان فلابد له من ترغيب وترهيب، ومواعظ ترفقه وأعمال تصدقه وأخلاق تحققه، فمزج سبحانه وتعالى التوحيد بالأحكام والقصص، والأحكام تُفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة عن عيون القلوب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائي النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد ، والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد، وكان هذا التفصيل لأنه أنشط للنفس

---

[1] مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٤/٧) الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

بالانتقال من نوع إلى آخر مع الهز بحسن النظم وبلاغة التناسب والإلهاب ببداعة الربط وبراعة التلاحم[1].

فتلك الآية الكريمة جاءت بعد كثير من آيات الأحكام وبعد ذكر بعض القصص وبعد أوامر ونواهٍ، وخلال تلك الآيات كانت هناك إشارات إلى بيان وحدانية الله وبيان عظمته جل جلاله فجاءت آية الكرسي بعد ذلك لتزيد إيمان المؤمن وتنير قلبه وتشرح صدره فهى أعظم آية في القرآن الكريم لتفردها بالحديث عن الله الواحد الأحد.

قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: نبه الله تعالى ذكره عباده بهذه الآية ألا يعبد غيره، وأن يحذر مما وقع فيه من تقدم ذكره، في قوله : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ واختلفوا فاقتتلوا وشبهه[2].

---

[1] نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ١/٤٩٣

[2] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ١/ ٨٤٣ مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة
الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

## المبحث الثاني

### بيان خواص آية الكرسي

### فضلها

آية الكرسي سيدة آي القرآن الكريم وهي أعظم آية في القرآن[١]

فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِى أَىُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِى أَىُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ». قَالَ قُلْتُ ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾. قَالَ فَضَرَبَ فِى صَدْرِى وَقَالَ « وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ »[٢].

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : مَا مِنْ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلا سَهْلٍ وَلا جَبَلٍ أَعْظَمُ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ [٣].

---

[١] أمّا عن جواز تفضيل بعض القرآن على بعض

ففي ذلك قولان:-

الأول : المنع وقال به الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان ، لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وروى هذا القول عن مالك. قال يحي بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ، ...

الثاني الجواز –جواز التفضيل – وقال به إسحاق بن راهويه وأبوبكر بن العربي والغزالي. وقال القرطبي: إنه الحق . ودليلهم ظواهر الأحاديث. قال الخازن: ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا : هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارئ أو جزيل ثوابه

قال ابن الحصار: العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب .( تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر : دار الفكر – بيروت –١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م . ٣١٩/٧ ٢٦٧/١ البرهان ٤٣٨/١ الإتقان ١١٧/٤ الزيادة والإحسان في علوم القرآن ٢٢٠/٢ )

[٢] مسلم(١٩٢١) ومعه النووي ٩٣/٦ سنن أبي داود رقم (١٤٦٢) وفيه: لِيَهْنِ لَكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ الْعِلْمُ »٥٤٥/١ .

[٣] الأسماء والصفات للإمام أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي ٥٧/٢ ، ٥٨ المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي

وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود: « أن أعظم آية في كتاب الله ﷿: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾» إلى آخر الآية[1].

وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن لا يقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه آية الكرسي [2].

عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَفْضَلُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَعْظَمُ آيَةٍ فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ [3].

## آية الكرسي ثوابها عظيم

"عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلّا أَنْ يَمُوتَ "[4].

وعن الحسن بن علي قال: قال رسول الله ﷺ:

"من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى"[1].

---

الناشر : مكتبة السوادي – جدة و لفظه عند سعيد بن منصور رقم( ٤٠٥) سير أعلام النبلاء ٥٧٨/١٠ وفيه تنبيه هام عن مصنفه الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط * حسين الأسد الناشر مؤسسة الرسالة

[1] التفسير من سعيد بن منصور رقم( ٤٠٤)

[2] المستدرك ١ / ٧٤٨ و كذا ٢ / ٢٨٥ هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه و الشيخان لم يخرجا عن حكيم بن جبير لوهن في رواياته إنما تركاه لغلوه في التشيع وسكت عنه الذهبي في التلخيص

[3] بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة رقم ( ٧٣٢ ) نور الدين الهيثمي المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة الطبعة : الأولى ، ١٤١٣ – ١٩٩٢

[4] النسائي في الكبرى رقم (٩٩٢٨) ٣٠/٦ سنن البيهقي ٣٠/٦ الطبراني ٨/ ١١٥.قال ابن القيم: روي هذا الحديث من حديث أبي أمامة وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن عمر والمغيرة بن شعبة وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وفيها كلها ضعف ولكن إذا انضم بعضها إلى بعض مع تباين طرقها واختلاف مخارجها دلت على أن الحديث له أصل وليس بموضوع وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة. وقال ابن حجر: غفل ابن الجوزي في زعمه وضعه وهو من أسمج ما وقع له وقال الدمياطي: له طرق كثيرة إذا انضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد* (زاد المعاد ٣٠٤/١ اللآلئ المصنوعة ٢٣٠/١ مجمع الزوائد١٠٢/١٠ فيض القدير ١٩٧/٦)

## آية الكرسي تطرد الشياطين وتحفظ قارئها من كيدهم

قراءة آية الكرسي من الرقى النافعة، وحصن وحرز وأمان من الشياطين.

قال الشبلي: ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته فإن لها تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين من أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية إذا قرأت عليهم بصدق والصائل المتعدي يستحق دفعه سواء كان مسلما أو كافرا[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ

---

[١] قال الهيثمي :رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

[٢] آكام المرجان فى أحكام الجان للشبلي ١٣٨، ١٣٩

ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ[1].

و عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ فَكَانَتْ تَجِىءُ الْغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». قَالَ فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ». قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ فَقَالَ « كَذَبَتْ وَهِىَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ ». قَالَ فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ». قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ. فَقَالَ « كَذَبَتْ وَهِىَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ ». فَأَخَذَهَا فَقَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ. فَقَالَتْ إِنِّى ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةَ الْكُرْسِىِّ اقْرَأْهَا فِى بَيْتِكَ فَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلاَ غَيْرُهُ. قَالَ فَجَاءَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ». قَالَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ. قَالَ

---

[1] صحيح البخارى مع فتح الباري ٤/٥٦٨ و ٦/٣٨٦ و ٨/٦٧١ و النسائي في السنن الكبرى ٥/١٣

« صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ ». رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَفِي الْبَابِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.[1].

عن الحسن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فقل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ البقرة: (٢٥٥) حتى تختم آية الكرسي. إسناده ضعيف[2].

ومن فضلها عدم تسلط الشيطان على من قرأها عند النوم ولو فاتته صلاة الفجر.

كما بين ذلك الشبلي ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: ذكر عند النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – رجل، فقيل: ما زال نائما حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال في أذنيه" قال الشبلي موضحاً استثناء من قرأها، فقال: قلت هذا لمن لم يقرأ آية الكرسي أو خواتيم سورة البقرة أو ما يتحرز به من الشياطين من القرآن وأما من قرأ ذلك فلا سبيل للشيطان عليه بدليل ما قدمناه من الأحاديث الدالة على أن من قرأها لا يقربه شيطان حتى يصبح[3].

## عناية السلف الصالح بها

عن علي رضي الله عنه قال : ما أرى أحداً يعقل دخل في الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي[4].

---

[1] الترمذى كتاب فضائل القرآن باب فضل آية الكرسي ٤ /٢٧٣ وقال حسن غريب. و أحمد ٥/ ٤٢٣ و رواية أبي التي أشار إليها الترمذي رواها الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ( المستدرك ١ / ٧٤٩) .

[2] مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا (٦٧) ٢/٣٦ ضمن مجموع رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق والورع ط: المنتدى الإسلامي الشارقة ت: أبو بكر سعداوي، والمجالسة وجواهر العلم رقم(٢٨٧٠) ٦١٣/١ المؤلف / أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

[3] آكام المرجان فى أحكام الجان للشبلي صـ٢١٥

[4] المصنف لابن أبي شيبة ٤٧/٧ وسنده حسن و فيه عنعنة الأعمش فهو مدلس

وكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي[1].

وقال يحي بن معين: كنت إذا دخلت منزلي بالليل، قرأت آية الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فبينا أنا أقرأ، إذا شئ يكلمني: كم تقرأ هذا ؟ كأن ليس إنسان يحسن يقرأ غيرك ؟ فقلت: أرى هذا يسوءك ؟ والله لأزيدنك. فصرت أقرؤها في الليلة خمسين . ستين مرة[2].

قال ابن قيم الجوزية: وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة[3].

ولكثرة قراءتها كانت آخر كلام الحافظ يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي الذي مات بين الظهر والعصر من يوم السبت ١٢ صفر سنة ٧٤٢ وهو يقرأ آية الكرسي وصلي عليه من الغد[4].

وقال عبيد الله بن أبي جعفر[5]: اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت أقرأ آية الكرسي فنمت فإذا رجلان قائمان بين يدي فقال أحدهما لصاحبه أن يقرأ آية فيها

---

[1] المصنف لابن أبي شيبة ١٦٧/٧ قال الهيثمي : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات إلا أن عبد الله لم يسمع من ابن عوف.

[2] سير أعلام النبلاء ٨٧/١١

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٨٥/١ لابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الناشر : مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦ تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط

[4] البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق علي شيري ٢٢٤/١٤ دار إحياء التراث العربي و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة المؤلف : ابن حجر العسقلاني ٦/ ٢٣٣طبع الهند

[5] عبيد الله بن أبي جعفر القرشي الأموي مولاهم المصري . ولد في سنة ستين عن نافع وبكير بن الأشج سمع منه الليث وفد على عمر بن عبد العزيز وغزا القسطنطينية عن عبيد الله بن أبي جعفر قال غزونا القسطنطينية فكسر بنا مركبنا فألقاها الموج على خشبة في البحر وكنا خمسة أو ستة فأنبت الله لنا بعددنا ورقة لكل رجل منا فكن نمصها فتشبعنا وتروينا فإذا أمسينا أنبت الله لنا ( ٧ ) مكانها حتى مر بنا مركب فحملنا

قال أبو حاتم هو ثقة التاريخ الكبير للبخاري ٩٩٤/٢ تاريخ دمشق ٤٠٨/٣٧ النبلاء ٨/٦

ثلاثمائة وستون رحمة أفلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة فاستيقظت فوجدت خفة [1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد ثم قولوا اللهم فضله لأهل المقابر[2].

قال النووي:ويقرأ آية الكرسي عند الحجامة[3]

## تأويل المعبرين لقراءة آية الكرسي في النوم

قال ابن سيرين: من قرأها على الافراد خاصة يكون آمنا من الآفات ويحصل مراده. وقال الكرماني: إن كان مريضا شفاه الله. وقال جعفر الصادق: يحصل له قدر وجاه وحرمة. ومن قرأ آية الكرسي في المنام دلّ على حفظه وذكائه[4].

## آية الكرسي وحلّ السحر

من المجربات قراءة آية الكرسي لحل السحر ولعلاج الحسد والاضطرابات النفسية. يقرأ تلك الآية المباركة ما شاء الله ولا يتقيد بعدد معين وسوف يجد ما يسره إن شاء الله تعالى، ولكل أجل كتاب.

قال ابن بطال: وفى كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى وذوات قُل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به؛ فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . [5].

---

[1] الروح لابن القيم صـ ٢٥٣، ٢٥٤

[2] طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى ، ١/٢٦٤ تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة – بيروت والروح لابن قيم الجوزية صـ ١٥٨ تحقيق محمد الأنور أحمد البلتاجي الناشر دار التراث

[3] مجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ٤/٦٥٢ دار الفكر

[4] تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين ٢/٣٠ و تعطير الأنام في تفسير الأحلام المؤلف: عبد الغني النابلسي ١/٢٧٣ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد الناشر المكتبة التوفيقية.

[5] المصنف لعبد الرزاق (٢٠٦٧٢) ٨/٤٥٩التأصيل ط: الأولى ٢٠١٥، وشرح صحيح البخارى لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف ٩/ ٤٤٦ مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ط: الثانية، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم=

## فائدة في بيان سبب كونها أعظم آية في القرآن:

و ذلك لِكَوْنِهَا جَمَعَتْ مِنْ أُصُول الْأَسْمَاء وَالصِّفَات مِنْ الْإِلَهِيَّة الْوَحْدَانِيَّة وَالْحَيَاة وَالْعِلْم وَالْمُلْك وَالْقُدْرَة وَالْإِرَادَة، وَهَذِهِ السَّبْعَة أُصُول الْأَسْمَاء وَالصِّفَات. وقد أفاض العلماء في بيان سبب كونها أعظم آية في القرآن: لما اشتملت عليه من أسماء الذات والصفات والأفعال ونفي النقص وإثبات الكمال و وفت به من أدلة التوحيد على أتم وجه في أحكم نظام وأبدع أسلوب وفضل الذكر والعلم يتبع المعلوم والمذكور، وقد احتوت على الصفات صريحاً وضمناً وكررت فيها الأسماء الشريفة ظاهرة ومضمرة تسع عشرة مرة، ولم يتضمن هذا المجموع آية غيرها وهي خمسون كلمة على عدد الصلوات المأمور بها ، أولاً في حضرة العرش والكرسي فوق سدرة المنتهى، وبعدد ما استقرت عليه من رتبة الأجر آخراً [(١)].

قال حجة الإسلام الغزالي: معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الأقصى من علوم القرآن وسائر الأقسام مرادة له وهو مراد لنفسه لا لغيره فهو المتبوع وما عداه التابع وآية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والأفعال فقط ليس فيها غيرها فقوله: (اللَّهُ) إشارة إلى الذات وقوله: (لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ) إشارة إلى توحيد الذات وقوله: (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) إشارة إلى صفة الذات وجلاله فإن معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة، وقوله: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) تنزيه وتقديس له عما

---

= وعمدة القاري للحافظ بدر الدين العيني ٢١ / ٢٨٥، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام محمد الأمين بن محمد الشنقيطي١٠/٢٣٣ دار الفكر بيروت – لبنان١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م

وذوات (قُلْ) هي السور التي تبدأ بلفظة (قُلْ) وهي: الكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس وهن المقصودات هنا كما أفاده العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر اليمني الشافعي المعروف بابن الأشخر في شرحه على بهجة المحافل ١/١٠٨ ط دار الكتب العلمية بيروت — لبنان.

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ١/٤٩٤

يستحيل عليه من أوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة بل هو أوضح أقسامها،

وقوله: (لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ) إشارة إلى كلها-أي الأمور كلها- وأن جميعها منه مصدرها وإليه مرجعها

وقوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) إشارة إلى إنفراده بالملك والحكم والأمر وأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه والإذن فيه وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ إشارة إلى صفة العلم وتفصيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره من ذاته وإن كان لغيره علم فهو من عطائه وهبته وعلى قدر إرادته ومشيئته، وقوله: (وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰت وَالْأَرْضَ) إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته وفيه سر لا يحتمل الحال كشفه فإن معرفة الكرسي ومعرفة صفاته واتساع السموات والأرض معرفة شريفة غامضة ويرتبط بها علوم كثيرة، وقوله: (وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا) إشارة إلى صفات القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان، وقوله: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات... والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع آيات القرآن لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعة في آية واحدة منها فلذلك قال النبي سيدة آي القرآن ... والفاتحة فيها رموز إلى هذه الصفات من غير شرح وهي مشروحة في آية الكرسي والذي يقرب منها في جميع المعاني آخر الحشر وأول الحديد إذ اشتملا على أسماء وصفات كثيرة ولكنها آيات لا آية واحدة وهذه آية الكرسي آية واحدة...وقال هي سيدة الآيات كيف لا وفيها (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وهو الاسم الأعظم وتحته سر ويشهد له ورود الخبر بأن الاسم الأعظم في آية الكرسي وأول آل عمران

وقوله ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[1] .

أما الخبر الذي أشار إليه فهو عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[2].

وقد أبدع البيضاوي رحمه الله في بيان هذا السر وبينه في عبارات تشبه المناجاة وتتجلى فيها تعيظمه لجلال الله حيث قال: وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الألوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته مُوجِد لغيره إذ القيوم هو القائم نفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له عالم الأشياء كلها جليها وخفيها، كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح أن يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهو عظيم لا يحيط به فهم[3].

فائدة عن حجة الإسلام الغزالي: في تخصيص النبي آية الكرسي بأنها سيدة آي القرآن والفاتحة بأنها الأفضل والسر في هذا التخصيص أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى فاضلاً فالذي يجمع أنواعاً أكثر يسمى أفضل فإن الفضل هو الزيادة فالأفضل هو الأزيد وأما السؤدد فهو عبارة عن رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعية وإذا راجعت المعاني التي ذكرناها في السورتين علمت أن الفاتحة تتضمن التنبيه على معانٍ كثيرة ومعان مختلفة فكانت أفضل وآية

---

(1) جواهر القرآن٧٣- ٧٦ لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٥تحقيق : د.محمد رشيد رضا القباني

(2) سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٣٩٤) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سنن أبي داود (٢/ ٨٠)، سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) سنن الدارمي (٤/ ٢١٣٣) [تعليق المحقق] إسناده حسن  شعب الإيمان (٤/ ٥٠)

(3) البيضاوي ٥٥٥/١، ٥٥٦

الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المتبوعة والمقصودة التي يتبعها سائر المعارف فكان اسم السيدة بها أليق[1].

## المبحث الثالث

### اللغة والإعراب

﴿ اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

(اللَّهُ) لفظ الجلالة مبتدأ، لَا نافية للجنس تعمل عمل "إن"، و" إِلَهَ " اسم لا مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره معبود أو موجود [2]، و"إلا" أداة استثناء، و"هو" بدل من الضمير المستتر في الخبر، – وهذا الأسلوب يفيد الحصر ويقال الإثبات إذا كان بعد النفي فإنه يكون أبلغ في الإثبات فلهذا قيل لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فبدأ بالنفي ثم استثنى الإثبات فيكون ذلك أبلغ في الإثبات–[3].

و"الْحَيُّ القيوم" فيه أوجه:

١– و هو أجودها أنه صفة للمبتدأ لفظ الجلالة : "اللَّه" [4]، ٢– خبر بعد خبر– الخبر الأول لفظ الجلالة:اللَّه، ٣– بدل من هو، ٤– بدل من الله، ٥– خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الْحَيُّ، ٦– الْحَيُّ مبتدأ والخبر ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾.

﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ الجملة في محلّ رفعٍ خبراً لله عند مَنْ يُجيز تعدُّد الخبرِ أو خبراً للحي تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً فإن من يعتريه *أحدهما* يكون موقوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل: استئناف مُؤكد لما سبق–فيها معنى

---

[1] جواهر القرآن صـ٨٠–٨٢

[2] أو تقديره ممكن لأننا قلنا ذلك بعد إثبات وجوده تعالى ببراهين ساطعة ، فالمقصود نفي إمكان الألوهية أولا و إثباتها لله تعالى ثانياً. وأما وجوده تعالى فمعلوم بالدلائل العقلية القاطعة " القونوي ٥/٣٧٩

[3] بحر العلوم للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ١/١٩٣ تحقيق د.محمود مطرجي الناشر دار الفكر بيروت

[4] قال الألوسي : ويعضده القراءة بالنصب على المدح لإختصاصه بالنعت ( روح المعاني ٣/ ٧ )

التأكيدِ– وقيل: في محلِّ نصبٍ على الحالِ–حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم–كأنه قيل: يقوم بأمر الخلق غيرَ غافلٍ[1].

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يجوز أن يكون خبراً آخر لما تقدم – لفظ الجلالة :اللَّه–، وأن يكون مستأنفاً. و"ما" للعموم تشمل كل موجود. واللامُ في "له" للمِلْك، وكرَّر "ما" للتوكيد. هذه الجملة أفادت تعليم التوحيد بعمومها– بالموصول وصلته –، وأفادت إبطال عقائد أهل الشرك بخصوصية القصر– بتقديم المسند أي لا لِغيره–[2].

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي ﴾:"مَنْ" اسم استفهام مبتدأ، و"ذا" اسم إشارةٍ خبرُهُ، و" الَّذِي " وصلتُهُ نعتٌ لاسمِ الإشارةِ أو بدلٌ منه، والاستفهام معناه الإنكار والنفي، أي لا يشفع عنده أحد إلا بأمره[3]

ويجوزُ أن يكونَ "مَنْ ذا" كلُّه بمنزلَةِ اسمٍ واحدٍ تركَّبا كقولِكَ: "ماذا صَنَعْتَ".

و"عنده" فيه وجهان، أحدُهما: أنه متعلِّقٌ بيَشْفَع. والثاني: أنه متعلِّقٌ بمحذوفٍ لكونِه حالاً من الضمير في "يَشْفع" أي يَشْفَعُ مستقراً عنده،

و"إلاَّ بإذنه" متعلقٌ بمحذوفٍ، لأنه حالٌ من فاعلِ "يَشْفَع" فهو استثناءٌ مفرَّغ، والباءُ للمصاحبةِ، والمعنى: لا أحدَ يشفعُ عندَه إلاَّ مأذوناً له منه، ويجوزُ أن يكونَ مفعولاً أي: بإذنه يَشْفعون كما تقول: "ضَرَب بسيفه" أي هو آلةٌ للضربِ، والباءُ للتعديةِ.

"يَعْلَمُ" هذه الجملةُ يجوز أن تكونَ خبراً لأحدِ المبتدأين المتقدمين[4]، أو استئنافاً أو حالاً. والضميرُ في " أيديهم " و "خلفهم" يعودُ على "ما" في قوله: ( لَّهُ مَا فِي

---

[1] إملاء ما من به الرحمن صـ١٠٦  الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣/٧٧إرشاد العقل السليم١/٢٤٨ روح المعاني ٣/ ٧

[2] مستفاد من التحرير والتنوير ٣/٢٠

[3] مفاتيح الغيب ٧/٩

[4] أي لفظ الجلالة. أو الحي على أنه مبتدأ والخبر : لا تأخذه، والخبر الثاني يعلم...

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) إنه غَلَّبَ مَنْ يعقِلُ على غيرِه. وقيل: يعودُ على العُقَلاء ممَّن تضمَّنه لفظُ "ما" دونَ غيرِهم. وقيل: يعودُ على ما دَلَّ عليه "مَنْ ذا" من الملائكةِ والأنبياء. وقيل: من الملائكة خاصةً[1].

﴿ بِشَيْءٍ ﴾ متعلِّقٌ بيحيطون. والعلمُ هنا بمعنى المعْلوم؛ لأنَّ عِلْمَه تعالى الذي هو صفةٌ قائمةٌ بذاتِه المقدَّسة لا يتبعَّضُ .. ولكونِ العلمِ بمعنى المعلومَ صَحَّ دخولُ التبعيضِ، والاستثناءُ عليه.

و" مِنْ عِلْمِهِ " يجوزُ أَنْ يتعلَّقَ بيحيطون، وأَنْ يتعلَّقَ بمحذوفٍ لأنه صفةٌ لشيء، فيكونَ في محلِّ جر.

"بما شاءَ" متعلِّقٌ بيُحيطون أيضاً، ومفعولُ "شاء" محذوفٌ تقديرُه: إلا بما شاء أن يُحيطوا به، وذلك لدلالةِ قوله: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الجمهورُ على "وَسِعَ" بفتح الواوِ وكسرِ السينِ وفتحِ العينِ فعلاً ماضياً.

و"كرسيُّه" بالرفع على أنه فاعلُه،

والكُرْسِيُّ الياءُ فيه لغير النسب واشتقاقُه من الكِرْس وهو الجمع، ومنه الكُرَّاسة للصحائف الجامعةِ للعلمِ[2].

"وَسِعَ كُرْسِيُّهُ " جملة مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ وخبر،

و"حِفْظ" أي حفظه السموات والأرض فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول أي لا يَؤُوْده أَنْ يحفظَهما.

وجملة "وهو العلي" معطوفة على جملة "لا يؤوده" لا محل لها[3].

---

[1] الدر المصون ٣/٧٩ و التحرير والتنوير ٣/٢٢

[2] الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣/٨٠، ٨١

[3] الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣/٨٠، ٨١ مُشكِل إعراب القرآن أ.د. أحمد بن محمد الخراط، البيضاوي ١/٥٥٣

المفردات:

(الْحَيُّ ) الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة و الإمكان والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها .. وإذا وصف به الباري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا- [1] فالحياة صفة وجودية أزلية قائمة مقتضية لصحة اتصافه تعالى بالعلم وغيره. و قد تعددت في معناها أقوال الناس كما تعددت في هل هي من الصفات العقلية أم النقلية ؟

فقيل: هي وصفة البقاء بمعنى واحد، الباقي أي الذي لا يقبل العدم. فقيل معنى ( الْحَيُّ ) الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء.

و المحققون من المتكلمين لم يقولوا بهذا القول في صفة الحياة بل يعرفونها بتعريف يغاير البقاء فالحي الكامل من كل شيء البالغ أقصى درجات الكمال. غير قابل للعدم لا في ذاته ولا في صفاته [2]. المتكلمون متفقون على أن الحياة صفة وجودية لم يتنازعوا فيها تنازعهم في صفة البقاء هل صفة سلبية أم وجودية

وأصله حَيْيٌ بياءين من حَيي يَحْيَا فهو حيٌّ،وفي وزنه قولان، أحدُهما: أنه فَعْل، والثاني: أنه فَيْعِل فَخُفِّف[3].

ومعنى (القَيُّوم): فَيْعُول من القيام يقال قام بالأمر يَقُوم به إذا دَبَّره، وأصلُه قَيْوُوم، فاجتمت الياءُ والواوُ وسَبَقَت إحداهما بالسكون فَقُلِبت الواوُ ياءً وأُدغمت فيها الياءُ فصارَ قَيُّوماً.

---

[1] البيضاوى ١/٥٥٢

[2] لبيضاوى ١/٢٧٠، ٢٧١ "القونوي ٥/٣٨٠"

[3] إملاء ما من به الرحمن صـ١٠٦ البحر المحيط ١/٢٨٧ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣/٧٥ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

أبي السعود محمد بن محمد العمادي ١/٢٤٧ الناشر دار إحياء التراث العربي

وصيغة قَيُّوم تفيد التكثير[١] أي: هو القائم على كل أمر بما يجب له، فهو القائم بذاته المقيم لغيره وقيل: القائم على كل نفس بما كسبت وقيل القائم بتدبير الخلق وحفظه[٢].

لطيفة:

من صور قيومية الرب الْكَرِيم

من طلبه وجده وَمن استكفاه كَفاهُ وَمن اتَّقَاهُ وَقَاه، وَمن تقرب إِلَيْهِ أسْرع إِلَيْهِ بالإجابة، يَدْعُوك إِن أَدْبَرت ويقبلك إِن رجعت ويحمدك على حظك ويثني عَلَيْك بِمَا وهب لَك، ويحضك على النّظر لنَفسك، إِنَّمَا يمرضك ليصحك إِن عقلت ويفقرك ليغنيك ويمنعك ليعطيك، يمنعك الْقَلِيل الفاني لترضى فيعطيك الجزيل الْبَاقِي ويميتك ليحييك ويفنيك ليبقيك ويداويك بالأمراض لتبرأ من سقم الذُّنُوب ويغمك بالأوجاع ليغسلك من درن الْخَطَايَا و يعركك بالبلاء ليلين قَلْبك لطلب الْفَوْز، ابتدأك بِالنعَم قبل أَن تسأله وثناها بَعْدَمَا ضيعت شكره وأدامها بإحسانه مَعَ دوَام الْإِعْرَاض مِنْك عَنهُ [٣] .

(سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ) السِنَة النعاس وهو قول ابن عباس و الجمهور[٤]، وهو ما يتقدَّم النومَ من الفتور، وانطباق العينين فإذا صار في القلب صار نوماً أي: لا يأخذه نعاس، فضلاً أن يأخذه نوم. أو: نفى الأخص أولاً، ثم نفى الأعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولاً ضمناً ثم صريحاً. ولو اقتصر على نفي الأخص لم يلزم منه نفي الأعم. وقدم السِنَة على النوم لأن هذا ذكر ترتيب الوجود، إذ وجود السِنَة

---

[١] أرشدني شيخنا الشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله إلى التأدب عند الكلام عن جلال الله تعالى فلا نقل اسم من أسمائه يفيد المبالغة ولكن نقول يفيد التكثير.

[٢] إملاء ما من به الرحمن صـ١٠٦ البحر المحيط ٢٨٧/١ الدر المصون ٧٧/٣

[٣] ماهية الْعقل وَمَعْنَاهُ واختلاف الناس فيه للإمام الحارث بن أسد المحاسبي (المتوفى: ٢٤٣هـ) (ص ٢٣٦، ٢٣٧) المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي ، دار الفكر – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٨

[٤] الطبري٥/٣٩١-٣٩٣ ابن أبي حاتم ٤٨٧/٢

سابق على وجود النوم، مثل: ( لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً)، قصداً إلى الإحاطة والإحصاء؛ ولأنه لما عبر بالأخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السِنَة كما لو قيل: فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان[1].

و(يَئُودُهُ): والأوَدُ بالتحريك العِوَج، ومعنى آده أثقله لأن المثقَّل ينحني فيصير ذا أوَد[2] معناه يثقله، يقال آدني الشيء بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم،

وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) لا يثقل عليه شيء[3].

## المبحث الرابع

### أسرار بيانية

قد اهتم علماؤنا بيان ما انطوي عليه القرآن العظيم من وجوه الإعجاز وقد بذلوا جهدهم واستنفدوا طاقتهم فانجلى عملهم عن معجزة إلهية تبهر كل مؤمن فهو تنزيل من حكيم حميد و يذعن كل عاقل فيقل لا طاقة للبشر بهذا و لو اجتمعت الإنس والجن عليه وكان لآية الكرسي نصيباً من ذلك الجهد المشكور فمن أسرار آية الكرسي .

١- قال الزمخشري: "فإنْ قلت: كيف تَرَتَّبَتِ الجملُ في آيةِ الكرسي غير حرفِ عطفٍ؟ قلت: ما منها جملةٌ إلا وهي واردةٌ على سبيل البيانِ لما تَرَتَّبَتْ عليه، والبيانُ مُتَّحِدٌ بالمبَيَّن، فلو توسَّط بينهما عاطفٌ لكان كما تقول العرب: "بين العصا ولِحائها" فالأُولى بيانٌ لقيامِهِ بتدبيرِ الخَلْق وكونِهِ مهيمناً عليه غيرَ ساهٍ عنه، والثانيةُ لكونِهِ مالكاً لما يدبِّره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعِلْمِه

---

[1] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
المؤلف : محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ١٩١/١ دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت

[2] التحرير والتنوير ٢٤/٣

[3] تفسير القرآن عبد الرزاق بن همام الصنعاني ١٠٢/١ تحقيق د. مصطفى مسلم محمد الناشر مكتبة الرشد الرياض١٤١٠هـ

بالمرتضى منهم، المستوجِب للشفاعةِ وغير المرْتَضَى، والخامسةُ لسَعَةِ علمه وتعلُّقِهِ بالمعلوماتِ كلِّها أو لجلالِهِ وعِظَم قدرتِهِ" انتهى. يعني غالبَ الجملِ وإلاَّ فبعضُ الجملِ فيها معطوفة وهي قولُهُ: "ولا يُحيطُونَ" وقولُهُ "ولا يَئُودُهُ" وقولُه: "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ".قال البقاعي:كل جملة استؤنفت فهي علة لما قبلها[1]،

٢- الخطوط التعبيرية في الآية: الملاحظ في الآية أنها تذكر من كل الأشياء اثنين اثنين، بدأها بصفتين من صفات الله تعالى (الحَيُّ القَيُّومُ) وذكر اثنين من النوم (سنة ونوم) وكرّر (لا) مرتين (لا تأخذه سنة ولا نوم) وذكر اثنين في الملكية (السموات والأرض) وكرر (ما) مرتين وذكر اثنين من علمه في (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وذكر اثنين مما وسعه الكرسي (وسع كرسيه السموات والأرض) وختم الآية باثنين من صفاته (الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)[2].

---

[1] الكشاف١/٣٢٩، ٣٣٠ الدر المصون ٨١/١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ٤٩٤/١ ، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي

[2] لمسات بيانية٣٩ في نصوص من التنزيل للدكتور / فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

## الفصل الثاني

## التفسير التحليلي للآية

## المبحث الأول

قوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وهذه الجملة المباركة تتحدث عن وجود الله ووحدانيته:

فمما لا شك فيه أن الحديث عن الوحدانية حديث عن الوجود الإلهي وزيادة، ضرورة قيام الصفة بالموصوف، ومن ثَم كانت أدلتها دالة بالطريق الأولى على الوجود[(١)].

"فالقرآن الكريم لم يجعل قضية وجود اللّه قضيته. لعلم اللّه أن الفطرة ترفض هذه اللوثة. إنما القضية هي قضية توحيد اللّه وتقرير سلطانه في حياة العبد" ومع ذلك فإننا في بحثنا هذا سنستطرد في إثبات الوجود الإلهي لكثرة الشبه التي تثار حول تلك القضية الفطرية البديهية وإننا نقول إن هذا ضروري لتقوية الإيمان لاسيما ونحن نتحدث عن صفات الله العلى الكبير في تفسير سيدة آي القرآن فنجمع الخير كله عندما نعلن التوحيد ونطمس الشرك وننصر الحق ونهدم الباطل وننشر الإيمان ونقهر الإلحاد

ولكن بطريق برهان الخلف فلن نقتحم هاتيك المفاوز بل سنذكر الخير ونعرض عن الشر ونجلى النور ونمحو الظلام ونرشد لليقين ونستعين بمولانا ومولى المؤمنين الله رب العالمين[(٢)]. قال هرشل الفلكي الإنجليزي: (كلما اتسع نطاق العلم ازدادت

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع صـ٣٣١

(٢) ومن كان عنده وقت لمعرفة الشر وهدمه و من عنده رغبة في الإطلاع على الباطل ودحضه، فدونه عشرات الكتب ومئات الأبحاث قام به قوم أيدهم الله بكرمه وأعانهم على نصرة دينه فمثلاً على شبكة الانترنت مواقع عديدة في الرد

البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون و الفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم، وهو صرح عظمة الله وحده) [(١)].

إن الإيمان بالله تعالى هو رأس التكاليف كافة، والله تبارك وتعالى ــ حين كلفنا أن نؤمن به بين لنا حقيقته العظمى، وصفاته العلا، وأسماءه الحسنى، وأفعاله العظمى وحدد لنا المطلوب منا تحديداً دقيقاً، ولم يتركنا لاجتهادنا الشخصي، أو تصورات الخيال المتناقضة، إن الحقيقة الإلهية ذات وجود خارج عن كل دروب الأشياء التي نعلمها، والوحي الإلهي قد أتي بوصفها على قدر ما تُطيقه عقولنا ولغتنا، وكلفنا اعتقاد هذه الأوصاف اليقينية[(٢)]. فتجلى الله –سبحانه وتعالى– لخلقه في كتابه فوصف نفسه بالربوبية ليعبدوه، وبالكمال ليمجدوه، وبالجلال ليوقروه، وبالإفضال ليشكروه، وبالجمال ليحبوه، وبالكبرياء ليهابوه، وبالقرب منهم ليراقبوه، وبسعة الرحمة ليرجوه، وبشدة النقمة ليخافوه، وبالعظمة ليخضعوا لعظمته، وبالعزة ليتذللوا لعزته، وبالإحسان إليهم ليرضوا عنه، وبالإطلاع عليهم ليستحيوا منه، وبالتفرد بالإلهية لئلا يعبدوا سواه، وبالتوحد بالنفع والضر لئلا يعتمدوا إلا عليه ولا يستندوا

---

على الملاحدة ودحض شبههم يظهر منها تأييد روح القدس لهم! ومن أفضل تلك المواقع منتدى التوحيد الذي يحتوى على كثير من الأبحاث و به بعض الكتب التي ترد على الملاحدة فانظره

ودونك أسماء بعض الكتب المهمة في هذا الموضوع

الله يتجلى في عصر العلم، مجموعة من العلماء، تحقيق الدمرداش سرحان، القاهرة ١٩٦٨م.

تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، بيروت، ١٣٩٥هـ.

الفيزياء ووجود الخالق مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس حيث يذكر حقيقة كون الملحدين مشركين يعبدون الباطل ويدينون بالباطل، ففروا من الإله الحق والدين الحق، إلى آلهة باطلة وأديان باطلة.

العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

(١) تبسيط العقائد الإسلامية (ص: ٧٠) ، حسن أيوب دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م نقلا عن دائرة معارف وجدي جـ ١ ص ٥٠٣.

(٢) المنهاج القرآني في التشريع للشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد صـ٣٢٧

إلا إليه، فتجلى لهم في كتابه بصفاته ليحثهم بمعرفتها على التمسك بكتابه والتخلق بآدابه[1].

## وجود الله

### الوجود الإلهي حقيقة مسلمة

(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ) قد اجتمعت شتى الدلائل على وجود مُوجد الوجود، دلائل الخلق والعهد[2] والعلم والعقل والوحي على التسليم بوجوده سبحانه وتعالى تسليماً مطلقاً وشاع ذلك بين الناس منذ درجوا على الأرض[3]. بيد أن شرذمة الملحدين ممن انهمكوا في الغواية، وتمادوا في الضلالة، تهافتوا في الجهالة، وألحدوا في دين الله إلحاداً ليلبسوا على الناس دينهم وليشككوهم في إيمانهم بل تجرؤا على جلال الله وجعلوا ذلك الكفر والإلحاد سُلماً لنيل نعيم زائل وذريعة إلى مجد غابر، فجاؤا بالكذب والأباطيل والإفك والبهتان، وأسرفوا في ذلك إسرافاً وعتوا عتواً كبيراً. وهؤلاء تسموا بالعلمانيين ومنهم من أعلنها صراحة ونشر منتدى على شبكة الانترنت وسماه منتدى الملحدين العرب! لذا حري بنا أن نتكلم عنهم لنَحْذرهم، ونتقي شرهم، ونكشف عوارهم، هداهم الله،وأعادهم إلى رشدهم. فالكثير منهم غُرر بهم، وسلبت عقولهم.

---

[1] مقاصد القرآن ص ١٩ للإمام عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام تحقيق أيمن عبدالرازق الناشر مكتبة الغزالى دمشق الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥

[2] وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) الأعراف.

[3] المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ١٠٢

تنسب العلمانية – على غير قياس- إلى العالم، أو العالمية secularism: هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية.

العلمانية: اعتقاد بأن الدين والشئون الإكليريكية (اللاهوتية والكنسية) والرهبنة لا ينبغي أن تدخل في أعمال الدولة، وبالأخص في التعليم العام .. والتحول إلى العلمانية هو التخلص من سلطة الرهبنة والعهد الرهبني [١].

لعل تلك الصورة المشوهة عن الإله التي ظهرت لبعض الناس[٢] جرأتهم على إنكار الإله الحق، ولو كان ذلك التطاول والتجرؤ على إنكار الله لو كان ذلك نشأ بالهند أو بأدغال إفريقيا لما كان مستساغاً بل كان الواجب هو البحث عن الحق والصواب لا إنكار ما هو حق وصواب بسبب وجود الباطل والخطأ ولكننا نفاجأ بالملحدين يتكلمون بما لا علم لهم به ولا طاقة لعقولهم أن تعرفه فإذا بهم ينفون وجود الإله ويتطاولون على وجود الله حيث رأوا أن الإله عند اليهود والنصاري لا قدسية له عندهم بل ينسبون له ما لا يليق بمقام الألوهية وبدلاً أن يبحثون عن كتاب سماوي لم تمسه يد المحرفين ألا وهو القرآن الكريم، فكان الواجب عليهم أن ينطقوا كلمة الحق مثل سيدنا يوسف ﵇ فيرفضوا كل ما قيل على ألسنة البشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة أو أشركوا بالله فيقولوا ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ويثبتوا لله ما يليق به فيقولوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠.

هذا وقد فرض علينا الأجنبي – منذ الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر–: موضوع التفكير، ويجرنا إلى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا، يدفعنا في متاهات

---

[١] العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق أ.د / محمد البهي هدية مجلة الأزهر ص١٦ عدد ربيع الآخر ١٤١٥

[٢] وما خبر اليهود والنصاري عنا ببعيد

ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا، أو نتركها عن قصد، وربما نتركها متحدين إياها، وجاهدين في حمل الآخرين منا على الترغيب عنها. فرض علينا العلمانية في تعاليمنا. وفرضها علينا في تشريعنا وفرضها علينا في تفكيرنا وسلوكنا. وفرضها علينا في سياستنا، وفرضها علينا في اقتصادنا؛ ففصل بين الإسلام وحكم الدولة وأبعد الإسلام عن مجالات الحياة العامة، وتركه داخل المسجد وفي قلوب الناس يمارسونه اعتقاداً، وقلما ينزلون به إلى التطبيق.

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية أن يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف: يحاول أن يفرض علينا إلغاء الدين عقيدة بعد أن طمست معالمه عملاً في أوضاع المسلمين؛ يحاول أن يصل بنا إلى ما يسمى: "الإلحاد العلمي" وهو مرحلة من مراحل العلمانية، كي نصل عن طريقه إلى مجتمع غير طبقي[(١)].

ومع أن العلم والعقل يُقران بالإيمان بالله تعالى ويؤيدان الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ومع ذلك فقد نجح العلمانيون في إيهام كثير من الناس بأن الحقائق العلمية تبطل الدعاوى الدينية وتؤيد النظريات الإلحادية، بل نجحوا في إيهامهم بأن النظرة الإلحادية إلى الوجود هي وحدها النظرة العلمية؛ فصارت العلمانية أو الإلحاد جزءاً من مفهوم العلم نفسه.

بشرى

أعظم مُلحد في القرن العشرين: سير أنتوني فلو Sir Antony Flew فيلسوف الإلحاد ورأس الملحدين الذي كانت كتاباته جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين لماذا وبعد أن بلغ الثمانين من العمر فاجأ العالم في ٩ ديسمبر عام ٢٠٠٤ أنه صار مؤمنا بالله وقد أذاعت الأسوشيتد برس

---

[(١)] العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق أ.د / محمد البهي هدية مجلة الأزهر صـ١١ عدد ربيع الآخر ١٤١٥

الخبر على النحو التالي: ( الملحد الشهير يعود للإيمان بالله بدافع من الشواهد العلمية ) Leading atheist now believes in God based on scientific evidence ... وأصدر في عام ٢٠٠٧ كتابه الشهير: "هناك إله" كيف عَدَل أشرس ملحد عن الإلحاد There is God how the worlds most notorious atheist changed his mind .... وكانت أحد أشهر اعترافات سير أنتوني فلو أنه قال :-(( يقولون أن الإعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية وأنا سأُدلي باعترافي .. إن نموذج الإنفجار الكبير شيء محرج جدا بالنسبة للملحدين .. ذلك لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية )) ... لم إذا يتراجع أعظم الملحدين عن الإلحاد؟

الكاتبة الإنجليزية الشهيرة "كارين أرمسترونج" في كتابها الأخير "مسعى البشرية الأزلي الله لماذا" ... تقول أن الإنسان ليس homo sapiens sapiens وإنما هو homo religiosus فالإنسان ليس حيوانا عاقلا وإنما إنسان ديني .. فالإنسان الأول هو نفسه صانع العبادات والمعتقدات والطقوس والرسوم على الكهوف وإنشاد المزامير دائم التطلع إلى عالم آخر حقيقي ولم يكن يخرج يصطاد إلا ويخضع نفسه لطقوس غاية في التعقيد وربما كانت توجد مدن في التاريخ بلا أسوار بلا جيوش بلا مصانع لكن لم توجد مدينة بلا معبد .. ما هو المصدر الدارويني لغريزة التدين تلك ؟[١]

---

[١] منتدى التوحيد مقالة بعنوان: تسعة عشر سؤال، أطرحها أمام كل ملحد .. فهل مِن مُجيب ..؟؟ http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?36445-%CA%D3%DA%C9-%DA%D4%D1-%D3%C4%C7%E1-%C3%D8%D1%CD%E5%C7-%C3%E3%C7%E3-%DF%E1-%E3%E1%CD%CF-%DD%E5%E1-%E3%F6%E4-%E3%F5%CC%ED%C8-%BF%BF

## مجمل شبهات الملحدين[1] والرد عليها إجمالاً

### أولا:الوجود الإلهي:

يحدثنا الوحي الإلهي عن الله -تبارك وتعالى- من حيث هو ذات حقيقية، وله وجود حقيقي لا يشبه شيء، ومن ثَمَّ فهو ليس معنى من المعاني الذهنية، ولا قانونا من القوانين الكونية المنبثة في الأحياء والأشياء، مثل قانون الجاذبية ونحو ذلك، بل كل ما خطر ببالك فالله فوق ذلك وأعظم من ذلك لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١، وهو -سبحانه تعالى-: الأول قبل كل شيء، وهو الآخر بعد كل شيء وهو خالق كل شيئ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد:٣، ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص :٨٨، وهو -سبحانه وتعالى- بذاته وجود غيبي ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام:١٠٣، ولكنه يُعرف بآثاره في كل شيء، وتقوم كل دروب الأدلة علي وجوده وتفرده، واستحقاقه لكل صفات الكمال، ودليل وجوده -سبحانه وتعالى- وهو العقل والفطرة والشعور الباطني، وما خلق الله من شيء ، ثم ذلك كله مقرر في نصوص الوحي الإلهي قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور:٣٥، وبداهة العقل عند كل إنسان تقضي أن لكل مصنوع

---

[1] وقد وردت كلمة لحد في القرآن في المواضع التالية:في سورة الأعراف الآية: ١٨٠ ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، سورة النحل الآية: ١٠٣ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾، سورة فصلت الآية: ٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (لسان العرب: لحَد إلى فلانٍ مال ولحَد في دِين اللّه لغة في لحد. واللحد حفرةُ. ولحَد عن دِين الله وغيرِهِ مال وحاد وعدل وطعن فيه). مصدر الكلمة الميلان و الزيغان واللحد في الإله أو في الدين هو الخروج من الدين أو الميلان عن الطريق السوى وانظر إلى حلم الله الحليم حيث أمهلهم في عنادهم الذي فاق عناد الأولين وجهلهم الذي لم نعهده في الكفار السابقين ففى منتدى الملحدين العرب هذه أسماء بعضهم -أسماء مستعارة- الزنديق الأكبر، أبو لهب، أساطير الأولين، ابن رب الله، الرحمن، الله. وعلى منتداهم هذا العنوان: هذه الساحة مخصصة للشهود ولتقديم الشكاوي بحق الله ورُسله.

صانعه، وأن لكل حادث موجداً[١]. فأي شيء بدأت فعند الباري تعالى تقف ابتدأ خلق الأشياء من عنده وانتهاؤها إليه وفاتحة العلوم من قبله وغايتها عنده لا معلوم بعده فصح أنه لابد من الوقوف على موجد لا موجد سواه[٢].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الشورى: ١٦. وقد قيل : ليس يمكن بالعقول إدراك كل معقول [٣].

فائدة:

اختلف العلماء هل حقيقته تعَالَى معلومة للناس في الدنيا ؟

فقال المحققون: إنها ليست معلومة في الدنيا، قَالَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ: وكلاَمُ الصُّوفِيَّةِ يُشْعِرُ بِهِ، ولهذَا قَالَ الجُنَيْدُ: وَاللَّهِ مَا عَرِفَ اللَّهَ إلا اللَّهُ، وقَالَ الحَارثُ المحَاسِبِيُّ: لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَعْلُومَةً لِلْخَلْقِ. وحَكُوا عَنِ الشَّافِعِيِّ رحِمه اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنِ انتهضَ لطلبِ مُدَبِّرِهِ فَانْتَهَى إلَى مَوْجُودٍ ينتهي إلَيْهِ فِكْرُهُ فهو مُشَبِّهٌ، وإِنِ اطْمَأَنَّ إلَى العدمِ الصّرفِ فهو مُعَطِّلٌ، وإِنِ اطْمَأَنَّ إلَى مَوْجُودٍ وَاعْتَرَفَ بِالعجزِ عَنْ إدرَاكِهِ فهو مُوَحِّدٌ، وهو معنَى قَوْلِ الصّديقِ ﷺ: العَجْزُ عَنِ دَرْكِ الإِدرَاكِ إدرَاكٌ. وإذا كان الإنسان لم يدرك حقيقة نفسه فكيف يدرك حقيقة خالقه

وَقَدْ قِيلَ:

حَقِيقةُ المرْءِ لَيْسَ المرْءُ يُدْرِكُهَا --- فَكَيْفَ كَيْفِيَّةَ الجبَّارِ فِي القِدَمِ؟![٤].

فائدة: قال الراغب: ... غاية معرفة الإنسان لربه أن يعرف أجناس الموجودات جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف أثر الصنعة فيها وأنها محدثة وأن

---

[١] المنهاج القرآني في التشريع للشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد ص٣٢٧، ٣٢٨

[٢] قانون التأويل ص٤٥٩

[٣] قانون التأويل ص٥٠٦

[٤] الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (ص: ٧٣٠)

محدثها ليس إياها ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه[1].

## قضية إثبات الوجود بدهية بالقياس إلى الإدراك الحس.

### إثبات الوجود دليل على موجد الوجود

ومع أن كلاهما لا يحتاج إلى إثبات ولكن ماذا نفعل إذا اضطرنا إلى هذا فلنجاريهم ولنقل: إننا إذا أدركنا الوجود فإننا في الوقت نفسه ندرك العدم، وحين ندرك العدم نكون بين حالين: إما أن ننفي العدم فنكون قد أثبتنا الوجود، وإما أن نثبته فنكون قد أثبتنا حقيقة، وإذا أثبتنا حقيقة أثبتنا الوجود. فنستنتج أن العدم المطلق محال. والوجود إما وجود مطلق أو وجود إضافي فالوجود المطلق مالا بداية له ولا نهاية وهو الوجود الأزلى، والوجود الإضافي ما كان له بداية واقترن بنهاية وكان محلا للتغير. ولما كان العدم المطلق محالاً فإن العدم الإضافي هو المقابل للوجود الإضافي[2]. والحواس وهي منافذ الإدراك الأولى لا تحيط علماً بجميع الموجودات. فالحواس وحدها لا تكفي لمعرفة الوجود والإحاطة الشاملة لكل موجود ولا عبرة لمن يقول إنه لا يؤمن إلا بما يراه أو يقع تحت حسه[3]. فالعقل قاضٍ بأن الموجود لابد له من مُوجد، وأن المخلوق لا بد له من خالق، ومن كلام بعض العارفين: اضطر كل ناظر بعقله إلى

---

[1] التنوير شرح الجامع الصغير (٥/ ٨٣)

[2] وبهذا بطل قول اللاأدرية والشكاك الذين يشكون في كل شيئ عافانا الله من ذلكم المرض العضال .

[3] مستفاد من مقال له في الرد على الماديين لشيخنا الأستاذ الدكتور محمد أبو الغيط الفرت رحمه الله ص٨٠،٧٩ حولية كلية أصول الدين بالقاهرة العدد الأول ١٩٨١ .

تحقق سبق الوجود على العدم إذ كل موجود يشهد بذلك، ولو سبق العدم المطلق لاستحال وجود موجود، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن[1].

لطيفه:

سأل جماعة من الكفار وكانوا سبعة عشر نفساً الإمام الشافعي: ما الدليل على معرفة الصانع؟

فقال: ورقة الفرصاد أليس طعمها ولونها وريحها واحد عندكم قالوا: نعم فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم، والنحلة فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعرة والظبية فينعقد في نوافحها المسك، فمن ذا الذي جعلها كذلك، مع أن الطبع واحد، فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا على يديه.

وسئل أبو حنيفة عن معرفة الصانع فقال: إن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى، ويريد الأنثى فتكون ذكراً، فدل ذلك على معرفة الصانع.

واستدل أحمد بن حنبل على معرفة الله تعالى بالبيض وخروج الفرخ منها، وقال: الدليل على الصانع قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها أي: لا باب، كالفضة المذابة والذهب الإبريز ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير، فدل ذلك على اللطيف الخبير.

وسأل هارون الرشيد مالكاً عن الصانع، فاستدل عليه بخلاف الأصوات، وتردد النغمات، وتفاوت اللغات.

وسئل أبو نواس الشاعر عن الدليل على الصانع فقال: النرجس وأنشد فيه:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

أصول من لجين زاهرات ... على أطرافها ذهب سبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك[1]

---

[1] الكشكول للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي٢/٨٥ دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ -١٩٩٨م الطبعة : الأولى تحقيق : محمد عبد الكريم النمري

قيل لبعض العرب: ما الدليل على أن للعالم صانعاً ؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أمَا يدلان على الصانع الخبير ؟ ![2].

قال الإمام علي كرم الله وجهه : اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَ يَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ[3] .

قال ابن السماك لرجل: تبارك مَن خَلقك فجعلك تُبصرُ بِشَحْمٍ، وَ تَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَ تَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ . [4]

قَالَ مَالِكُ بنُ دِيْنَارٍ:خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذوقُوا أَطْيَبَ شَيْءٍ فِيْهَا. قِيْلَ: وَمَا هُوَ يا أبا يحيى؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللهِ –تَعَالَى-[5].

فالله الموجود الحق الذي يستمد منه كلُّ موجودٍ وجودَه، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه . فباسمه إذن يكون كل ابتداء . وباسمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه.

## الله يتجلى في عصر العلم

كثيراً ما يستند الملاحدة في إنكارهم للخالق إلى العلم والفلسفة والمنطق، ويحاولون أن يَظهروا بمظهر الباحثين والمفكرين، يتمسحوا بالعلم وهم أبعد الناس عنه، أو قل على الأقل ملاحدة العرب الذين يتناولون سقطات الغرب وترهاته، وأخطائه وضلالته، ويزعمون أنه الحق المبين.

مع أن الدين والعلم والفلسفة كلها قد اتفقت على الإيمان بالله سبحانه وتعظيمه

---

(1) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (١/ ٤٦٠، ٤٦١ )

(2) البحر المديد أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ٣٩٤/١ دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م. ١٤٢٣ هـ

(3) نهج البلاغة ص ٤٧٠

(4) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص٣٦

(5) حلية الأولياء٣٥٨/٢ تاريخ دمشق٤٢١/٥٦، ٤٢٧ سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٦٣

وإجلاله، وأنه مُوجِد الكون ومُدبره، ولكن كما قال بعض الفلاسفة: القليل من الفلسفة يُبعد عن الله، لكن الكثير منها يَردُ إلى الله.

(الله يتجلى في عصر العلم) هذا عنوان كتاب عجيب تقدم المشرف على تحريره بسؤال خطير وجهه إلى طائفة من العلماء المتخصصين في سائر فروع العلوم من الكيمياء إلى الفيزياء إلى الأحياء إلى الفلك إلى الرياضيات إلى الطب إلى غير ذلك.. وهذا هو السؤال

هل تعتقد في وجود الله؟ وكيف دلتك دراستك وبحوثك عليه؟

وأجاب هؤلاء العلماء على ذلك السؤال مُبينين الأسباب العلمية التي تدعوهم إلى الإيمان بالله .. ويرد العلماء في هذا الكتاب على أولئك الذين يَدَّعون أن الكون نشأ هكذا عن طريق المصادفة .. ولقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية (وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا أن ذلك يحتاج إلى بلايين عديدة من السنين، وإلى مادة لا يتسع لها هذا الكون المترامي الأطراف. هذا لتركيب جزيء واحد على ضآلته، فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعاً من نبات وحيوان ؟ وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى ؟ وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السماوات والأرض ؟ إنه يستحيل عقلاً أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء. لابد لكل ذلك من خَالق مُبدع عَليم خَبير، أحاط بكل شيء علماً وقدر كل شيء قدره ثم هَدى.[1].وقد أثبتت العلوم الحديثة أن هذا الكون خُلق بحكمة وتدبير وأن القصد من خلقه أصبح واضحاً جلياً، وفي كل يوم بل في كل لحظة تظهر الأدلة تلو الأدلة على ما في نظام الكون من تقدير دقيق، وقد تواتر إيمان العلماء، وتتابعت الحِكم التي ضَمَّنوها بعض كتاباتهم بما اكتشفوه بل اعترف الملحدون منهم بما في خلق الأكوان من نظام موزون، وتقدير مقصود ..

---

[1] الله يتجلى في عصر العلم المقدمة صـ٣ -٥

والأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى لا تقع تحت حصر، ولا يمكن أن توضع في مؤلفات؛ فإن آيات وجوده ماثلة في كل ما يحيط بمختلف حواسنا[(١)].

وقد قام العالم الرياضي السويسري "تشارلز يوجين جاي" بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة ١ إلى ١٠أُسّ ١٦٠، أي بنسبة ١ إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة. وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات. وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد، أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات. ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصي من السنوات

قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ١٠أُسّ ٢٤٣ سنة)[(٢)].

وسئل العالم المصري محمد النشائي[(٣)] كيف تكون بهذا العقل الكبير وتؤمن بالله فرد السؤال على السائل وكيف تكون أنت بهذا العقل الكبير وتقول إنك خلقت نفسك؟! فانظر إلى قلب الحقائق أيهما أولى بالإنكار إيمان المؤمن أم إلحاد الملحد؟

## من خلق الله ؟

هذا السؤال خطأ بلا شك، أولا لأن هذا السؤال يقال عن المخلوق لا عن الخالق لأن المخلوق لابد له من خالق فيصح السؤال لو سئل، من خلق الأرض من خلق البحار .. أما الخالق فليس كمثله شئ فمثلا تسأل هل زيد عالم ؟ السؤال صحيح أما أن تسأل هل الحجر عالم أو هل الباب عالم؛ لأنه توجد فروق كثيرة بين زيد

---

(١) الله والعلم الحديث عبدالرزاق نوفل صـ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ دار الشروق طبعة خاصة للهيئة المصرية العامة للكتاب " مكتبة الأسرة ١٩٩٨ . وهذا الكتاب يذكر الأدلة المادية على وجود الله خالق الوجود جل جلاله.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم مقال بعنوان نشأة العالم:هل هو مصادفة أو قصد؟ كتبها: فرانك ألن عالم الطبيعة البيولوجية صـ١٢، ١٣

(٣) عالم في علم النانو تكنولجي – مرشح لرئاسة الجمهورية– وهذا السؤال ذكره في أحد القاءات الإذاعية .

مثلا وبين ما ذكر. يقال: من خلق الأرض؛ فيقال: الله، ولا يصح أن تقول: ومن خلق الله؟.

ثم نقول قد هدانا الله للحق بطريق الفطرة أننا لا نسأل هذا السؤال وكم من طفل صغير كان يسأل هذا السؤال ثم لما كبر يستحي إذا تذكره،كما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أرشدنا إلى العلاج فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ » وفي رواية وَزَادَ: « وَرُسُلِهِ ». [(١)] والسؤال خطأ؛ لأنه يؤدى إلى التسلسل، وهو محال عقلا، فلو قيل خلقه خالق آخر، ثم يقال من خلق الخالق الآخر، وهكذا إلى ما لا نهاية. ولأن الفاعل لا يفعل مثله ولا يشبه ما خلقه؛ فالكاذب لا يكون كذباً وقد فعل الكذب، والحارث لا يكون حرثاً وقد فعل الحرث، ويستحيل أن يكون شيئان مثلين يفعل أحدهما صاحبه؛ لأنه ليس أحد المثلين بأن يفعل صاحبه أولى من الآخر وإذا كان كذلك لم يكن لأحدهما على الآخر مزية يستحق لأجلها أن يكون محدثاً له؛ لأن هذا حكم المثلين فيما تماثلا فيه والله تعالى خالق كل شيء لذا فهو لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ [(٢)] وبذلك ظهر بطلان سؤال الملحدين من خلق الله وثبت بطلان قول النصاري في المسيح عيسى ابن مريم وقول المشبهة وغيرهم؛ فالحق: أن كل ما خطر ببالك فالله فوق ذلك وأعظم من ذلك جل جلال الله الجليل . قال الشافعي رحمه الله : لا يقال للأصل، لِمَ ولا كيف.[(٣)]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فَالصَّمَدُ الَّذِى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأَنَّهُ لَيْسَ

---

(١) صحيح مسلم ٨٣/١، ٨٤

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ البيهقي صـ٣٨

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد صـ١٢٥

شَيْءٌ يُولَدُ إِلاَّ سَيَمُوتُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلاَّ سَيُورَثُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمُوتُ وَلاَ يُورَثُ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قَالَ: " لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلاَ عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "[(١)].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِهِ إلى رأس من رؤوس الْمُشْرِكِينَ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ ﷻ، فَقَالَ الْمُشْرِكُ: هَذَا الإِلَهُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ صَاحِبُكَ؛ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أَوْ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ مِنْ نُحَاسٍ؟ فَتَعَاظَمَ مَقَالَتَهُ فِي صَدْرِ رَسُولِ رسولِ اللهِ ﷺ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِ». فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَرَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الطَّرِيقِ لا يَدْرِي، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَهْلَكَ اللهُ صَاحِبُكَ بَعْدَكَ» ، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَى رسوله ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَآءُ. .﴾ الآية [الرعد: ١٣][(٢)]

## الإيمان والعلم والفلسفة :

أقام الملحدون أفكارهم على عجل بعد نظرات خاطفة في الكون، فلما أعادوا النظر و تدبروا فيه انقلب البصر الإلحادي خاسئاً طريداً وإن أردنا أن نتجرع شيئاُ من سفاهتهم لما استساغها عقلنا ومجتها فطرتنا بل ولحزن عليهم قلبنا من جرأتهم في إظهار الغباء وكشف سوءات عقولهم لو حسبناهم أصحاب عقول! فمما قالوه مجموعة من الأسئلة مفادها أنهم لا يرجون لله وقاراً مع أنهم ينكرونه بألسنتهم فكيف تصفون شيئاً غير موجود لو كنتم تعقلون.

---

(١) الترمذي رقم (٣٦٦٤ ) وصححه الحاكم وأقره الذهبي رقم (٣٩٨٧) الطبري مرسلاً ٢٤/٦٩١ قال ابن حجر: وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ وَجْه آخر عَنْ أَبِي الْعَالِيَة مُرْسَلًا وَقَالَ : هَذَا أَصَحّ ، وَصَحَّحَ الْمَوْصُول اِبْن خُزَيْمَة وَالْحَاكِم ، وَلَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث جَابِر عِنْد أَبِي يَعْلَى وَالطَّبَرِيّ وَالطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي« رقم الحديث:٢٥٤٦ الأسماء والصفات للبيهقي« رقم الحديث: ٦٢٢[إسناده حسن] والمجالسة وجواهر العلم للدينوري

## الله جل جلاله

اسم للذات المخصوص المعبود بالحق الدال على كونه موجوداً أو علي كيفيات ذلك الوجود أعني كونه أزلياً أبدياً واجب الوجود لذاته وعلى الصفات السلبية الدالة على التنزيه وعلى الصفات الإضافية الدالة على الإيجاب والتكوين .. والحاصل أن الإله اسم لمفهوم كلي هو المعبود بحق والله علم لذات معين هو المعبود بالحق وبهذا الاعتبار كان قولنا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كلمة توحيد أي: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق واتفقوا على أن لفظ الله مختص بالله .. قال الخليل: أطبق جميع الخلق على أن قولنا الله مخصوص بالله سبحانه [١]. فهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد [٢] ولم يعلم له مُسمى في اللسان؛ لأن الله سبحانه قبض الألسن عن أن يدعى به أحد سواه، وكما تاهوا في ذاته وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت، كذلك تحيروا في اللفظ الدال عليه أنه اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق علم أو غير علم إلى غير ذلك كأنه انعكس إليه من مسماه أشعة من تلك الأنوار فقصرت أعين المستبصرين عن إدراكه[٣] .

قال القاضي الحسين بن عبيد الله البندجيني: وأكثر أهل العلم على الاسم الأعظم هو الله[٤].

## لفظ الجلالة (الله)

وردت في القرآن الكريم (٢٦٩٧) مرة بتشكيلاتها اللفظية المختلفة.

« الله » اسم تفرّد به الحق – سبحانه فلا سَمِيَّ له فيه. قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم: ٦٥ أي هل تعرف أحداً غيره تسمَّى « الله »؟.

---

[١] مفاتيح الغيب ١/١٣٧

[٢] شرح البسملة والحمدلة للعلامة زكريا الأنصاري صـ ١٨ تحقيق ربيع بن أحمد خلف وآخرين طبعة الإيمان الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٧

[٣] الكليات لأبي البقاء مادة اللهم

[٤] شرح البسملة والحمدلة صـ١٩

الله علم واجب لذاته الذي تفرد به تعالى فلم يجعل لغيره شركة في لفظه كما لم يكن لأحد شركة في معناه وعليه تجرى صفاته وهو بمثابة العلم من حيث إنه يوصف ولا يوصف به ؛ لأنه اسم علم لله كأسماء الأعلام التي سمي بها غيره تعالى فإن الأعلام في الأصل وضعت للتمييز بين المسميين وهذا محال على الله وهو أيضا مستثنى من الخلاف في أن أي المعرفتين أعرف ولذلك قال سيبويه اسم الله تعالى أعرف المعارف وروي أنه رئي في المنام وقد نال خيراً كثيراً بهذه الكلمة [١] .

(الله) هو الاسم الوحيد من أسمائه تعالى وبقية الأسماء صفات، وهل هو من قبيل الجامد أو المشتق؟

خلاف لا طائل تحته، و لا سبيل في الحق إلى تحقيقه[٢]. قال ابن دريد: فأما اشتقاق اسم الله ﷻ فقد أقْدَم قومٌ على تفسيره، ولا أحبُّ أن أقول فيه شيئاً.[٣]

## من خواص اسم الله تعالى

أن أسماء الله كلها صفات له وهو مخصوص به غير صفة وأن أسماء الله تعالى كلها تنسب إليه ولا ينسب إلى شيء منها ولله الأسماء الحسنى وأن غيره من الأسماء قد يسمى وإنه لم يَتَسَمَ به أحد وأنه لزمته الألف واللام عوضاً من الهمزة ولم يفعل ذلك لغيره وأنه اختص في القَسَم بخاصة لا تكون لغيره من أسماء الله تعالى ولا شيء من مخلوقاته كقولهم تالله لأفعلن وهو على شرفه دليل وأنه جمع فيه بين يا التي للنداء واللام ولم يجيء ذلك في غيره إلا ما جاء في ضرورة الشعر وأنه حذف منه الألف في

---

[١] معنى لا إله إلا الله صـ١٠٥ ١٢٣ للإمام محمد بن عبدالله بن بهادر أبو عبدالله بدر الدين الزركشي الناشر : دار الإعتصام – القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ تحقيق : علي محي الدين علي القره داغي

[٢] تفسير سورة الفاتحة لشيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة. صـ١٥٤

[٣] الاشتقاق للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: ٣٢١هـ)صـ ١١ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الخط تنزيهاً له أن يشتبه باللات في الوقف والخط إذا كتبت اللات بالهاء والمشهور أنها حذفت لكثرة الاستعمال، ولما اختص به هذا الاسم العظيم من الخواص المذكورة وغيرها [1] قال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني هذا الاسم يدل على ذات موصوفة بنعوت الجلال له قدرة تصلح لاختراع متعلقة بالممكنات وعِلم محيط بالمعلومات وإرادة نافذة في المرادات وله الأمر والنهي ولا تصح العبادة إلا له...[2].

**لطائف:**

قال القرطبي: قوله: اللَّهُ هذا الاسم أكبر أسمائه- تعالى- وأجمعها، حتى قال بعضهم إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع، فالله: اسم الموجود الحق الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو- سبحانه-» هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى منها أنك إذا حذفت الألف من قولك الله بقي الباقي على صورة لله

وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة له فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا هو وهو أيضاً يدل عليه سبحانه والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع؛ فإنك تقول: هما هم فلا تبقى الواو فيهما فهذه الخاصية موجودة في لفظ الله غير موجودة في سائر الأسماء[3]. ولو حذفت اللام بقيت كلمة إله ولا إله إلا الإله الواحد جل في علاه.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٤٠ .

---

[1] معنى لا إله إلا الله صـ١٢٢ للزركشي

[2] معنى لا إله إلا الله للزركشي صـ١٢٣، ١٢٤

[3] مفاتيح الغيب ١/١٣٧

قال بعض المتكلمين:

تصور الإثبات متقدم على تصور النفي بدليل إمكان تصور الإثبات مجرداً عن تصور العدم دون العكس فما سبب مخالفة ذلك في كلمة التوحيد ؟ أهل المعاني يقولون إنما بدأ بالنفي؛ لأن النفي تفريغ القلب فإذا كان خالياً كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه وإشراق نور الله تعالى عليه .. وفي كلام بعضهم أنه إنما بدأ بالنفي لتطهير القلب من الأغيار وصقل جوهره لاستجلاء الأنوار وحصول الأسرار وقوة الأبصار ...

قول لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فيه خاصيتان إحداهما أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية حرفاً للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين[١].

لفظ إله في كلمة الشهادة نكرة في سياق النفي فيعم بلا شك[٢].

قال السمرقندي: ويقال الإثبات إذا كان بعد النفي فإنه يكون أبلغ في الإثبات فلهذا قيل لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فبدأ بالنفي ثم استثنى الإثبات فيكون ذلك أبلغ في الإثبات[٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلْيَقُلْ عَلَى أَثَرِهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يُرِيدُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر: ٦٥] «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»[٤]

---

(١) معنى لا إله إلا الله صـ ٨٢، ٨٣

(٢) معنى لا إله إلا الله صـ٨٠، ٨١

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ١/١٩٣

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٧٦) قال الذهبي:على شرط البخاري ومسلم و الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٦٢)

## المبحث الثاني

### الوحدانية في القرآن

صفة الوحدانية هي الصفة الجامعة لكل صفات الكمال فهو واحد في ذاته، واحد في صفاته واحد في أفعاله .قد استوعب القرآن الكريم الاستدلال على صحة عقيدة الوحدانية ،وأنها الحق المبين وأن كل شريك أو معبود مع الله تعالى هو كذب وافتراء فلا حقيقة لها قال جل جلاله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس: ١٨. إذا كان شيئاً لا يعلمه الله لا في السموات ولا في الأرض إذن فهو ليس معدوماً فقط بل هو وهم لا وجود له .. لذلك لم يترك القرآن الكريم دليلاً يصلح لخطاب البشر إلا أورده على أتم الوجوه وقد دعاهم الله سبحانه وتعالى ليتدبروا هذه الأدلة، وأن يفهموها ويحصلوها ولو إجمالاً، حتى يكونوا على بينة في أعظم حقائق الوجود، وحتى يكون إيمانهم على غاية الاستقرار ولذلك نَوَّعَ الأدلة تنويعاً عجيباً حتى تُناسب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم وعصورهم التي علم الله سبحانه وتعالى أنها تتغير وتتبدل[1].

---

[1] يقول: إبراهيم خليل أحمد

وأخذت أتامل الوحدانية في القرآن الكريم، الأمر الذي يستطيع العالم وغير العالم فهمه واستيعابه وإدراكه والإيمان بما يتضمنه من المعاني، من غير إجهاد الفكر، أو عناء الدرس والتحصيل.

وقارنتها بالوحدانية التر وردت في إنجيل متى في الباب الأول والعدد الأخير: الآب والابن والروح القدس "إله واحد آمين" وعند دراستي النص الأصلي علمت أن هذه العبارة لم ترد في الأصل اليوناني.

هذا بالإضافة إلى بلبلة أفكار عامة الناس وحيرة جهابذة العلماء في الدفاع عن هذه العقيدة السقيمة التي كشف التاريخ عنها القناع. وأكد العلامة جارسلاف كرينى أستاذ الحفريات من جامعة أكسفورد في كتابه "ديانة قدماء المصريين" أن عقيدة التثليث مستمدة من الوثنية الفرعونية. صـ١١

## أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية

تنوعت أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية على غاية التفنن والإبداع تلطفاً في استدعاء الناس إلى التوحيد وتأليفاً لقلوبهم ، ولفتاً لأسماعهم وأبصارهم،وإقامة للحجة عليهم بكل الأساليب...

### ١- أسلوب الخبر المجرد:

فإخبار الله تعالى من أعظم ما يقوي المؤمن ويثبته على الإيمان بوحدانية الله الواحد القهار. ومَن أصدق من الله حديثاً ؟ ومَن أصدق من الله قيلاً ؟ فها هو الجليل العظيم يخبرنا بالحق المبين فيقول سبحانه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣. قال جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ سورة الإخلاص. وهذه السورة المباركة شاملة لأصول الصفات الإلهية، والرد على جميع صنوف الملحدين. ثم هي مقررة لأسمى العقائد اللائقة بالله ﷻ، ومصححة لضلالات أهل الكتاب فضلاً عن المشركين[(١)]. قال الإمام الخازن مبيناً في كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: .. لأن منتهى التقديس في أن يكون واحداً من ثلاثة أمور:

١- لا يكون حاصلاً ممن هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله " لَمْ يلِد"،.

٢-ولا يكون حاصلاً ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله "وَلَمْ يُولَد".

٣- ولا يكون أحد في درجته وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعاً منه ودل عليه قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وتجمع ذلك كله قوله "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ". ويجمع جميع ذلك قوله :" قُلْ هُوَ اللهُ أحَد" وجمته وتفصيله هو قولك لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي عجائبه[(٢)].

---

(١) المنهاج القرآني في التشريع صـ٣٣١

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣١٩/٧

فائدة: يقول ابن العربي: سورة الإخلاص فيها خصيصة ليست في السور، وذلك أن بعضها يفسر بعضاً لأنك تقول: من هو ؟ فيقال لك: الله. ويقال لك: من الله ؟ فيقال لك: الأحد. فتقول: من الأحد ؟ فيقال لك: الصمد. فتقول: من الصمد ؟ فيقال: الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . ثم ترجع إلى أولها. فإنك إذا قلت من الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؟. فيقال لك الله [1].

٢- أسلوب الخبر المؤكد

مثل التأكيد بإن واللام والقسم قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾ سورة الصافات.

التأكيد بأسلوب القصر مثل النفي والاستثناء ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّآ أَنَا﴾ طه:١٤. القصر بإنما ﴿إِنَّمَآ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ طه.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾ الأنعام.

تعريف طرفي الجملة ـــ... ﴿اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾ الشورى.

٣-أسلوب الطلب كالاستفهام التقريري أو الإنكاري ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾ النمل.

٤- شهادة الله وملائكته و أولوا العلم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ سورة آل عمران .

٥-أسلوب الأمثال: منها قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحج (٧٣)

---

[1] قانون التأويل ٥٤٤

قال الإمام ابن القيم: حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه ؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليه من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟! وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات، فأعطوها صورا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه. وأدل من ذلك على عجزهم وانتقاء إلاهيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطْلُوبُ﴾ قيل: الطالب: العابد، والمطلوب هو: المعبود .. فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز؛ وعلى هذا فقيل: الطالب: الإله الباطل؛ والمطلوب: الذباب يطلب منه ما استلبه منه، وقيل: الطالب: الذباب، والمطلوب: الإله؛ فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح: أن اللفظ يتناول الجميع،

فضعف العابد والمعبود والمستلب، فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه[1].

تتمة:

إسلام عمرو بن الجموح

وفي قصة إسلامه تطبيق لمثال سورة الحج وبيان حقيقي لعجز ما عبد من دون الله كائنا ما كان

...كان معاذ بن عمرو بن الجموح قد شهد العقبة، وكان أبوه من سادة بني سلمة، وقد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له مناف، فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو وغيرهما، كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيأخذونه ويطرحونه في بعض الحفر، وفيها عذر الناس، منكسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا في هذه الليلة! ثم يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من يصنع بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام فعلوا به مثل ذلك، وفعل مرات، وفي الآخر علق عليه سيفه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، وهذا السيف معك. فلما كان الليل أخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فعلقوه وربطوه به وألقوه في جب عذره، فغدا عمرو فلم يجده، فخرج يتبعه حتى وجدوه في البئر منكسا مقرونا بالكلب، فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه،

وقال:

تالله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لمصرعك إلا مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن ... الواهب الرزق وديان الدين

---

[1] أعلام الموقعين عن رب العالمين ١/١٩٥ ، ١٩٦ .تحقيق هاني الحاج مكتبة التوفيقية

هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن[١]

٦- أسلوب المحاورة وهو أسلوب يأخذ بالألباب ويوقظ العقول ويبهج القلوب ووردت محاورات في القرآن لإثبات وحدانية الله كما جاء في سورة هود محاورة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه وسيدنا هود عليه السلام مع قومه وكما وردت محاورة بعض رسل الله مع قومهم في سورة إبراهيم وغيرها، ومحاورات سيدنا إبراهيم عليه السلام كما في سورة الأنعام والأنبياء والشعراء ونذكر هنا ما جاء في سورة مريم قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)﴾ مريم.

٧- أسلوب القصة: وهو من أوسع أساليب القرآن في التوحيد وغيره مثل قصص الأنبياء عليهم السلام، وهذا تفصيله في مظانه من كتب قصص الأنبياء أو تفسير الآيات التي تضمنت قصصهم عليهم الصلاة السلام وكلهم أرسل لبيان توحيد الواحد القهار ونشير إلى وصية نوح لولده قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ وَأَنْهَاكَ عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ...[٢].

*- عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، قال: شَهَادَةُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.[٣]

---

[١] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (سيرة ١/ ٢٥٧)

[٢] المسند ١٥٠/١١ رقم ٦٥٨٣ قال ابن كثير: إسناده صحيح ولم يخرجوه البداية والنهاية لابن كثير : ١٣٧/١،الترغيب و الترهيب ٢٤٠/٢، قال الهيثمي رواه كله أحمد ورواه الطبراني بنحوه ورجال أحمد ثقات ...٣٩٨/٤ وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٨٤/١٠

[٣] المجالسة وجواهر العلم٨٤/٤ رقم ١٢٥١

يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: " لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلَا شَيْءَ يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ مِنَ الْكَلَامِ مِثْلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ "[١]

## أدلة وحدانية الله[٢]

### الاستدلال القرآني على وحدانية الله تعالى

### ١-الأدلة الكونية

وهي التي يستخدم القرآن فيها الكائنات للتدليل على وجود الله ووحدانيته وهى أقوى أنواع الأدلة فكل شيء في الكون دليل على وحدانية الله الواحد الأحد. والقرآن الكريم يضع الإنسان أمام حقائق الكون مباشرة، ليوقن بنفسه أن الذي أبدع الكون ونظمه إله واحد، الله رب العالمين.﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٨٥. وقال سبحانه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾يونس.

### ٢- الأدلة النفسية

حيث ينتزع الدليل من داخل الإنسان نفسه ومن أعماق شعوره الداخلي.قال جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)﴾ الروم.

والتفكر: طلب المعنى من الأشياء فيما يتعلق بالقلب[٣].

---

[١] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ١٦)

[٢] الدليل هو ما يتوصل به إلى معرفة صحة الشئ وصدقه، أو إثبات هذه الصحة بطريق من طرق الإثبات. استفدت في ذكر الأدلة وأنواعها من كتب العلامة الشيخ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد المدخل إلى التفسير الموضوعي موضوع الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم صـ٩٩

[٣] السمعاني ٤/ ٢٠٤

هذا الدليل يُعد من الأدلة النفسية حيث يُنتزع الدليل للإنسان من زوايا نفسه وأعماق شعوره الداخلى، فالآية الكريمة تُثير الجانب النفسي في الإنسان ليتأمل من داخله، وليستدل بشعوره وليتواءم مع هذه الفطرة المنقدحة في حناياه بأن هذا الكون حق، وأن وراءه حكمة وقصداً عظيماً.والآية الكريمة تستثير الوجدان النفسي، والحس الباطن ليكون هو الدليل الذي يُورث صاحبه اليقين وينفي عنه الريبة والقلق[1]. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)﴾ سورة يونس. انظروا بعد أن تنعموا بتلك الريح الطيبة واطمأننتم، وبدأتم في اللهو والعبث ها هي المفاجأة يتركم حفظ ربكم فتنقلب الريح الطيبة إلى ريح عاصف وجاء الفزع والهول من كل جانب فأحاط بهم الموج وهنا أيقنوا الهلاك إلى من تتوجه ومن الذي تدعوه من غير الرؤوف الرحيم ترجوه هل من منجا إلا إليه هل من نجاة إلا من لدنه هل من مغيث إلا إياه هل من مجير سواه أمن يجيب المضطر إذا دعاه؟

قال في الحِكم: «إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه، حسّن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عَوَّدَكَ إلا حَسَنًا؟

وهل أسدى إليك إلا مننا؟»[2] .

---

[1] نظرات في الاستدلال القرآني ص ٢٤، ٢٥ أ.د /عبدالستار فتح الله سعيد الطبعة الأولى ١٢٤٨-٢٠٠٧ الناشر مؤسسة اقرأ

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٢٠)

### ٣- الأدلة العقلية

وهي الأدلة التي تعتمد على عمليات فكرية، كترتيب المقدمات واستخراج نتائجها حسب ضوابط وقوانين وراء بداهة الحس، ومشاعر النفس وإن كان الإدراك في الجميع راجعاً إلى العقل من الأدلة العقلية التي وردت في القرآن الكريم.

أ- الدليل البدهي: وهو الذي يقوم على استخدام الحقائق المشهورة والبدهيات المستقرة في ابتناء الدليل عليها، فيذعن الخصم للدليل إذعاناً تاماً إن كان منصفاً، وإن كان مكابراً فلا شيء ينفع معه ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾ الكهف. والدليل البدهي يقوم على البساطة التامة كل واحد ممكن أن يخاطب بهذا الدليل لأنه يعتمد على بداهة العقل قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ الأنعام:١٠١.

ب . دليل التمانع: قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ الأنبياء . أشار حجة الإسلام الغزالي في كتاب: "الاقتصاد في الاعتقاد" في بحث الوحدة أن هذه الآية لا أبين منها في برهان التوحيد وأنه لا مزيد على برهان القرآن.

تقرير الدليل:

لو كان للعالم صانعان لكان تدبيرهما لا يجري على نظام، ولكان العجز يلحقهما. فلو وجد إلهان بصفات الألوهية إذا أراد أحدهما أمرا كحركة جسم مثلاً فإما أن يتمكن الآخر من إرادة ضده أو لا وكلاهما محال

... لأنه لو فرض تعلق إرادته بذلك الضد فإما أن يقع مرادهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين أو لا يقع مراد واحد منهما وهو محال لاستلزامه عجز الإلهين الموصوفين بكمال القدرة على ما هو المفروض ولاستلزامه ارتفاع الضدين المفروض امتناع خلو المحل عنهما كحركة جسم وسكونه في زمان معين أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو محال لاستلزامه الترجيح بلا مرجح وعجز من فرض قادراً حيث لم

يقع مراده وهذا البرهان يسمى: برهان التمانع وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فإن أريد بالفساد عدم التكون وتقريره أنه لو تعدد الإله لم تتكون السماء والأرض؛ لأن تكونهما إما بمجموع القدرتين أو بكل منهما أو بأحدهما والكل باطل أما الأول فلأن من شأن الإله كمال القدرة وأما الآخران فلِما مَر وإن أريد بالفساد الخروج عما هو عليه من النظام فتقريره أنه لو تعدد الإله لكان بينهما التنازع والتغالب وتميز صنع كل عن الآخر بحكم اللزوم العادي فلم يحصل بين أجزاء العالم هذا الالتئام التي باعتباره صار الكل بمنزلة شخص واحد ويختل الانتظام الذي به بقاء الأنواع وترتب الآثار[١].

مثال آخر ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)﴾ الزخرف. فنبينا عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بجلاله تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأحرصهم على مراعاة حقوقه وما توجبه من تعظيم ولده سبحانه فإن حق الوالد على شخص يوجب عليه تعظيم ولده لِما أن تعظيم الولد تعظيم الوالد فالمعنى إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم أبيه وهذا نفي لكينونة ولد له سبحانه على أبلغ وجه وهو الطريق البرهاني والمذهب الكلامي فإنه في الحقيقة قياسي استثنائي استدل فيه بنفي اللازم البين انتفاؤه وهو عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للولد على نفي الملزوم وهو كينونة الولد له سبحانه وذلك نظير قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لكنه جيء ب(إن) دون لو جعل ما في حيزها بمنزلة ما لا يقطع بعدمه على طريق المساهلة وإرخاء العنان للتبكيت والإفحام[٢].

---

[١] شرح المقاصد ٢/٤٥-٤٦ محاسن التأويل ١١/٤٢٥٨ . ٤٢٦١

[٢] روح المعاني ٢٥/١٠٤

ج . دليل التسليم: حيث يسلم فيه بوجود المستحيل تسليماً جدلياً على سبيل الجدل فقط ثم يستدل على عدم فائدة هذا المحال على [1] تقدير وقوعه قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ المؤمنون. فالله تعالى واحد لا شريك له ولو سلم جدلاً أن معه إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلقا.

قال حجة الإسلام الغزالي في كتاب قواعد العقائد من الإحياء: في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .. وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته

فنحن نؤمن أنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته[2].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: إن الله واحد لا شريك له. ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره. قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء .لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام حي لا يموت

---

[1] محاضرات في التفسير الموضوعي صـ١٠٩

[2] الإحياء ٩١/١

قيوم لا ينام. خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة. ما زال بصفاته قديما قبل خلقه. لم يزدد بكونهم شيئاً. لم يكن قبلهم من صفاته وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ الشورى. خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقدارا وضرب لهم آجالا لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته  وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده [1].

سحر البيان في تمجيد الرحمن

ونذكر هنا شيئاً مما يثير محبة الله في قلوبنا

فقد قال القائل:

ومما زادني شرفاً وتيـهًا *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك ياعبادي *** وأن صيّرت أحمد لي نبيًا

وقال الآخر:

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ *** وَمَا شِئتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

[1] العقيدة الطحاوية

خَلقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ *** فَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمُسِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيد *** وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذلْتَ، *** وذاكَ أعنتَ، وذا لـم تعن[١]

(فائدة) عن السهيلي أنه أنشد أبيات وقال: إنه ما سأل الله سبحانه بها أحد إلا أعطاه إياها وهي هذه الأبيات:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع *** أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها *** يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن *** امنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة *** فبالافتقار إليك فقري أدفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة *** فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه *** إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لمجدك أن تقنط عاصيا *** الفضل أجزل والمواهب أوسع [٢]

وقال الشاعر:

فيَا عَجبَا كيفَ يَعصِي الإلهَ ** أمْ كيفَ يجحدهُ الجاحِدُ

وللهِ فِي كلّ تحريكَةٍ ** وفي كلّ تَسكينَةٍ شاهِدُ

وفِي كلّ شيءٍ لَهُ آيَةٌ ** تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ [٣]

وقَالَ أَبو سُلَيْمَان الدَّارَانِيَّ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِيَ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا أُنْفِقُهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَأَنِّي أَغْفُلُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ»[١]

---

[١] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص١٩٢ معه تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود تحقيق أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العنين الناشر دار الفضيلة الأولى ١٤٢٠-١٩٩٩ .

[٢] فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ٧٢٥/٣ ضبطه وصححه احمد عبد السلام دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م

[٣] ديوان أبي العتاهية، ص ٦٢

## المبحث الثالث

قوله تعالى: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾

"الحَيُّ القَيُّومُ" الحَيُّ: وصف لمن قامت به الحياة، وهي الصفة التي يكون الموصوف بها حيّاً مُخالفاً للجمادات والأموات وهو بالنسبة إلى الله تعالى من صفات الذات حي بحياة لم تزل ولا تزول. وصفة الحياة: صفة موجودة حقيقية قائمة بذاته لا يُكتنه كُنهها ولا تُعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه زائدة على مجموع العلم والقدرة. والمحققون من المتكلمين يعرفونها بتعريف يغاير البقاء فيقولون الحي الكامل من كل شيء البالغ أقصى درجات الكمال.

وفسرها بعضهم بالباقي[٢] الباقي على الأبد الدائم بلا زوال، الحي هو الله تعالى الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة، وسائر الأحياء سواء، يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك إلاّ وجهه سبحانه وتعالى. وكل شيء يكون كاملاً في جنسه فإنه يسمَّى حيًّا.

ومن ههنا يصحُّ أن يقال: أحيا الموات، وأحيا الله الأرض. فإن كمال حال الأرض أن تكون معمورة، وكمال حال الأشجار أن تكون مورقة نضيرة. ولما كان كمال حال الجسم أن يكون بحيث يصح أن يعلم ويقدر، فلا جرم سميت تلك الصفة حياة[٣].

---

(١) الأولياء لابن أبي الدنيا (ص: ٢١)

(٢) الماتريدية ومنهم جُل علماء الحنفية كأبي السعود والآلوسي

(٣) روح المعاني ٣/٧ الخازن ١/٢٦٨ الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ٢/٢٣٠ تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

فالمفهوم من « الحي » هو الكامل في جنسه، والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته، فلا حيّ بالحقيقة إلاّ واجب الوجود لذاته[1]. والحياة التي يوصف بها الإله الواحد هي الحياة الذاتية التي لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق. ومن ثَم يتفرد الله – سبحانه – بالحياة على هذا المعنى. كما أنها هي الحياة الأزلية الأبدية التي لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، فهي متجردة عن معنى الزمان المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية. ومن ثَم يتفرد الله – سبحانه – كذلك بالحياة على هذا المعنى. ثم إنها هي الحياة المطلقة من الخصائص التي اعتاد الناس أن يعرفوا بها الحياة. فالله – سبحانه – ليس كمثله شيء، ومن ثَم يرتفع كل شبه من الخصائص التي تتميز بها حياة الأشياء، وتثبت لله صفة الحياة مطلقة من كل خصيصة تحدد معنى الحياة في مفهوم البشر .. وتنتفي بهذا جميع المفهومات الأسطورية التي جالت في خيال البشر!.

والمقصود بوصف الله هنا بالحيّ إبطال عقيدة المشركين إلاهية أصنامهم التي هي جمادات، وكيف يكون مدبّر أمور الخلق جماداً [2]. قال سبحانه عن آلهتهم: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)﴾ النحل. الحي القيوم الذي أحيا كلَّ حي عن عدمٍ، وهو الحي الذي لم يزل. والقيومُ: القائم على كل نفسٍ بما كسبت، وقيل: القيوم القائم بكفاية عباده ليغنيهم به عن غيره[3].

والقَيُّومُ يطلق لمجموع اعتبارين: أحدهما: أنه لا يفتقر في قوامه إلى غيره. والثاني: أنَّ غيره يفتقر في قوامه إليه، وبهذا الثاني يزيد على مفهوم « الحي » .

---

[1] البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي ٢٨٥/١ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل الناشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م

[2] التحرير والتنوير ١٨/٣

[3] حقائق التفسير للسلمي ٧٦/١ أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي تحقيق سيد عمران الناشر دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م

القيوم أي القائم الحافظ لكل شئ والمعطى له ما به قوامه وذلك هو المعنى المذكور في قوله: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه:٥١، وفى قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الرعد:٣٣ [١].

"الحَيُّ القَيُّومُ": هذان الاسمان كما قَال شارح العقيدة الطحاوية: " من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم. فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه. ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه من النوم والسنة والعجز وغيرها ثم ذكر كمال ملكه ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ثم ذكر سعة علمه وإحاطته ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه ثم ذكر سعة كرسيه منبها به على سعته سبحانه وعظمته وعلوه وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعا لم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه[٢]. صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القَيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظمُ[٣]. الذى إذا دُعىَ به

---

[١] مفردات القرآن- الراغب الأصفهاني

[٢] الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية

[٣] عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في سورة البقرة و آل عمران و طه فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " و في سورة آل عمران " الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم " و في سورة طه " وعنت الوجوه للحي القيوم " المستدرك على الصحيحين رقم ١٨٦٦ .قال المناوي: وفيه هشام بن عمار مختلف فيه وقد اختلف في الاسم الأعظم على نحو أربعين قولا أفردها المصنف-السيوطي- وغيره بالتأليف : قال ابن حجر : وأرجحها من حيث السند الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فيض القدير ١/ ٦٥٢ للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ضبطه وصححه أحمد عبد السلام الناشر : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحَيّ القَيُّوم، .. فالحيُّ المطلق التام الحياة لا يفوتُه صِفة الكمال ألبتة، والقَيُّوم لا يتعذَّرُ عليه فعلٌ ممكنٌ ألبتة[1].

لطيفة: وَمِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ. وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ: شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا: لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ وَهُمَا: الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ وَاظَبَ عَلَى"يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: مَنْ وَاظَبَ عَلَى "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" كَلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْيَى اللَّهُ بِهَا قَلْبَهُ[2].

أما صفة " القَيُّوم " فتعني قيامه – سبحانه – على كل موجود. كما تعني قيام كل موجود به فلا قيام لشيء إلا مرتكناً إلى وجوده وتدبيره . . لا كما كان أكبر فلاسفة الإغريق – أرسطو – يتصور أن الله لا يفكر في شيء من مخلوقاته، لأنه تعالى أن يفكر في غير ذاته! ويحسب أن في هذا التصور تنزيهاً لله وتعظيماً؛ وهو يقطع الصلة بينه وبين هذا الوجود الذي خلقه . . وتركه . . فالتصور الإسلامي تصور إيجابي لا سلبي. يقوم على أساس أن الله – سبحانه – قائم على كل شيء وأن كل شيء، قائم في وجوده على إرادة الله وتدبيره . . ومن ثم يظل ضمير المسلم وحياته ووجوده ووجود كل شيء من حوله مرتبطا بالله الواحد؛ الذي يصرّف أمره وأمر كل شيء حوله، وفق حكمة وتدبير، فيلتزم الإنسان في حياته

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ٤/ ٢٠٤ الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

[2] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٦-٤٤٨)

بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير؛ ويستمد منه قيمه وموازينه، ويراقبه وهو يستخدم هذه القيم والموازين .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِى أَنْتَ الْحَىُّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ ».[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ: « اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

لطيفة: قوله: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ هذا كالدليل على كونه حياً قيوماً و﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ﴾ كالدّليل على أنه ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[3].

ونفي النوم أولاً التزاماً، ثم تصريحاً، ليدل كمال نفيه على ثبوت كمال ما ينافيه

ومن كمال قيوميته: اختصاصه بملك العلويات والسفليات المشار إليه بقوله: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الملائكة والشمس والقمر والكواكب : ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من العوا لم المشاهدات. وهذا إخبار بأن الجميع في ملكه وتحت قهره وسلطانه.

كقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ

---

[1] البخاري ٧٣٨٣ ومسلم رقم: ٢٧١٧ واللفظ له

[2] البخاري ٧٤٤٢. ١٣/ ٤٣٢-٤٣٣

[3] تفسير ابن عرفة المالكي لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة ٧٢٥/٢ دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – ١٩٨٦ م الطبعة : الأولى تحقيق : د. حسن المناعي

وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ مريم : ٩٣ ، ٩٤[(١)] . سبحانه وتعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت إنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته.

عَن مُحَمَّدِ بن الحُسَيْنِ، عَنِ الْعُتْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِمَكَّةَ يَقُولُ وَيَدْعُو؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "سُبْحَانَ مَنْ شَمَلَ فَضْلُهُ، وَعَمَّ بِالإِحْسَانِ شُكْرُهُ، وَعَلا فِي الْقَدِيمِ ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّمَ عَلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ، وَنَفَذَ بِالْمَشِيئَةِ أَمْرُهُ، وَعَمَّ الْوَرَى حِفْظُهُ، وأحاط بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ، وَبَانَ عَنْ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ، وَبَانَ عَلَى كُلِّ ذِي حِلْمٍ حِلْمُهُ، وَأَلْهَجَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِحَمْدِهِ، وَحَرَّكَ كُلَّ سَاكِنٍ بِلُطْفِهِ! ! فَسُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، وَلَمْ تَغِبْ عَنْ نَظَرِهِ الْحَرَكَاتُ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ عَلَيْهِ تَصَارِيفُ اللُّغَاتِ! قَدْ أَحْكَمَ بِتَدْبِيرِهِ مَا حَوَى عَلَيْهِ النُّورُ وَالظُّلُمَاتُ. إلَهِي! أَنْتَ نُورُ الذَّاكِرِينَ، وَحَامِلُ الشَّاكِرِينَ، وموصل المنقطعين، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَوَسِيلَةُ الأَوَّابِينَ، وَحُجَّةُ الْمُحْسِنِينَ، وَعِمَادُ الْوَاثِقِينَ، وَعَيْنُ النَّاظِرِينَ. يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُجْلِبَ بِهِ الْخَيْرُ! مَا أَحْسَنَ أَدَبَكَ، وَأَبْيَنَ عَلَى عِبَادِكَ كَرَمَكَ، مِنْكَ تُعْرَفُ الأَيَادِي، وَمِنْكَ يُبْتَغَى الْجَمِيلُ، ضَاقَ كُلُّ وُسْعٍ عند وسعك، وتلاشا كُلُّ مَعْرُوفٍ عِنْدَ مَعْرُوفِكَ، أَنْتَ حَبِيبُ الْعَارِفِينَ وَثِقَةُ الْمُؤَمِّلِينَ، أَوْسَعْتَ أَهْلَ الْخَطَايَا حِلْمًا، وَالْعُصَاةَ فَضْلا، وَالْمُعْرِضِينَ عَنْكَ جُودًا، لَوْلا صَفْحُكَ عَنْ جَرَائِمِ الْمُذْنِبِينَ؛ لَضَاقَتِ الْفِجَاجُ، وَلَفَاضَتِ الْبِحَارُ، وَلانْخَسَفَ القرار، ولزالت أقطار السماوات، وَلَتَدَكْدَكَتْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، وَتَعَطَّلَ العمران، ولضج القفار، وَلَمَاجَ الْهَوَامُّ، وَلانْقَطَعَ عَنِ الْفَلَكِ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ غَضَبًا لَكَ، وَإِعْظَامًا لِأَمْرِكَ. إلَهِي! كَيْفَ لا تَبْكِي عُيُونُ الأَبْرَارِ، أَمْ كَيْفَ لا تَنْخَلِعُ أَوْصَالُ الصِّدِّيقِينَ؟ ! يَا مَنْ بِهِ ذُهِلَتِ الْقُلُوبُ، وَبَكَتْ عَلَيْهِ الْعُيُونُ! فَيَا سِرَاجَ كُلِّ أَوَّابٍ! أَنْتَ فِي كُلِّ نَظَرٍ مَنْظُورٌ، وَفِي كُلِّ وَهْمٍ مَوْجُودٌ، وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِكَ، وَالْمُتَرَوِّحُونَ بِنَسِيمِ رَوْحِ ذِكْرِكَ؛ فَهُمْ أَهْلُكَ وَالْمُكْرَمُونَ بِبِرِّكَ، وَالْمَشْهُورُونَ بَيْنَ بَرِيَّتِكَ. إلَهِي! فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي نُورًا أَهْتَدِي بِهِ لِنُورِكَ، وَأَسْكِنْ فِي قَلْبِي مَعْرِفَتَكَ وَإِعْظَامَكَ، مَا إِذَا أَقَمْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ أَمَاتَتْنِي خَشْيَتُكَ، وَاعْتَلَّتْنِي رَهْبَتُكَ، وَاكْشِفْ

---

[(١)] محاسن التأويل للقاسمي

لِي عَنْ كل مستور حتى أحيي بِعِلْمِهِ، وَقَرِّبْ مِنِّي كُلَّ بعيد حتى أحيي بِفَهْمِهِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ حِيلَةٍ أَسْتَجْلِبُ بِهَا حِيلَةً، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ هَمٍّ أَنْقَطِعُ بِهِ عَنِ الْهَمِّ بِكَ، وَاكْشِفْ لِي عَنْ حِجَابِ الْحَيْرَةِ؛ فَأَنَا مَأْسُورٌ فِي قَبْضَتِكَ مُدَبَّرٌ بِمَشِيئَتِكَ، كَيْفَ تَشَاءُ أَكُونُ، وَمَا تُرِيدُ أُرِيدُ، لا أَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ، وَكَيْفَ أَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا فَكَوَّنْتَنِي، وَكُنْتُ جَاهِلا فَعَلَّمْتَنِي، وَبِلُطْفِ مَشِيئَتِكَ وَبِلُطْفِ مَشِيئَتِكَ دَبَّرْتَنِي؟ ! يَا رَحْمَنُ! يَا رَحِيمُ! يَا قَادِرُ! يَا قَاهِرُ! يَا مَنْ يَتَوَدَّدُ إِلَى عِبَادِهِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ! أَسْأَلُكَ عَفْوَكَ وَمُعَافَاتَكَ وَمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ"[1] .

## المبحث الرابع

قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾

﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ الجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما وتنزيه له تعالى أن يكون له مثل من الأحياء لأنها لا تخلو من ذلك فكيف تشابهه ولأن من أخذه نعاس أو نوم كان بآفة تخل بالحياة قاصراً في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده[2]. قال الثعلبي: فنفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنّه آفة ولا يجوز عليه الآفات ولأنّه تغيّر ولا يجوز عليه تغيّر الأحوال ، ولأنّه قهر، والله تعالى قاهر غير مقهور، ولأنّه للإستراحة ولا يناله تعب فيسترح ولأنّه أخ الموت[3]. ولم يقل سبحانه لا (تأخذه سِنَة ونوم) أو (سِنَة أو نوم) ففي قوله سِنَة ولا نوم ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا لكن لو قال سبحانه سِنَة ونوم فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد فقد تأخذه سِنَة دون النوم أو يأخذه النوم دون السِنَة[4]. وتوسيط كلمة (لا) للتنصيص على شمول النفي لكل منهما فالله تعالى لا يغفل عن دقيق ولا جليل، عبر بذلك عن الغفلة لأنه سببها، فأطلق اسم السبب على المسبب وقيل: نزه نفسه عن السنة والنوم لما فيها من الراحة، وهو تعالى لا يجوز

[1] المجالسة وجواهر العلم أثر ٣٠١٩

[2] البيضاوي١/٥٥٣ روح المعاني ٣/٨

[3] الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ٣/٢٣١

[4] لمسات بيانية صـ٣٣ د/ فاضل السامرائي

عليه التعب والاستراحة. وقيل: المعنى لا يقهره شيء ولا يغلبه، وفي المثل: النوم سلطان. والمراد أنه لا يعتريه سبحانه شيء منهما وقدم السِنَة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود، وهو تأكيد للقيوم، لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً[(١)].

ويؤخذ من هذه الآية المباركة التنزيه المطلق لله جل جلاله:

قال جل وعلا: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧)﴾ أمر من الله تعالى بتنزيهه وتقديسه والثناء عليه بما يليق بأن يقول العباد سبحان الله والحمد لله، (تُمْسُون وتُصْبحون) أي: تَدْخلون في المساء والصباح، في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض. فكماله تعالى لا يشوبه نقص ما، بل إنه سبحانه وتعالى منزه عن كمالات غيره من المخلوقات؛ لأنها محدودة محصورة، واتصافه بها نقص عن الكمال المطلق والله تعالى يتنزه عن ذلك. وما ذكر من صفات وصف بها عبيده فإنما هو التقاء في الألفاظ، ولكن بين المعاني في الجانبين آفاقاً وآماداً بقدر ما بين الخالق في تفرده وعزته، والمخلوق في قصوره وعجزه، وهذه عادة القرآن عن الحديث عن جلال الله تعالى قال جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى﴾ أي: الصفة العليا، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣- ٤] فهذا وصفه الأعلى [(٢)] فلله جل جلاله الوصف الأعلى الذي ليس لغيره وقد عُرف به فهذه صفة له عند أهل السماوات والأرض.الصفة العليا المقدسة، وهي أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد، وأنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من

---

[(١)] البحر المحيط ١/٢٨٨

[(٢)] تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٢٧٨)

العلم والقدرة والبقاء السرمدي، وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه[1].

فمثله العجيب الشأن من القدرة العامة، والحكمة التامة، وسائر صفات الكمال والجلال والجمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلاً عما يساويها، فلا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ الشورى، فذلك هو المثل الأعلى[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ»[3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالُوا: يَا مُوسَى هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ ؟ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ. فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى سَأَلُوكَ هَلْ يَنَامُ رَبُّكَ، فَخُذْ زُجَاجَتَيْنِ بِيَدَيْكَ، فَقُمِ اللَّيْلَ فَفَعَلَ مُوسَى فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثٌ، نَعَسَ، فَوَقَعَ لِرُكْبَتَيهِ، ثُمَّ انْتَعَشَ، فَضَبَطَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، نَعَسَ، فَسَقَطَتِ الزُّجَاجَتَانِ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى: لَوْ كُنْتُ أَنَامُ. لَسَقَطَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، فَهَلَكْنَ كَمَا هَلَكَتِ الزُّجَاجَتَانِ بِيَدَيْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ"[4].

---

[1] تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٨٣)

[2] تفسير الربع الأول من سورة الروم للباحث ص ١٠٤، ١٠٥ حولية كلية أصول الدين بالمنوفية العدد (٢٧) سنة ١٤٢٩-٢٠٠٨

[3] مسلم معه النووى ٣/١٣

[4] تفسير القرآن عبد الرزاق بن همام الصنعاني ١/١٠٢ تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٢٤

## المبحث الخامس

### قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لقيوميته تعالى، واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم. والله سبحانه مالك كل شئ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)﴾ الأنعام. ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾ الزمر، فمعني قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء الموجودة في الدنيا والآخرة كائناً ما كان من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة المتصف بهما لأسبابهما. ﴿وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء حسبما تقتضيه الحكمة وهو القادر على كل شيء[1]

قال فخر الدين الرازي: ومن هذين الأصلين تتشعب جميع المسائل المعتبرة في علم التوحيد.وذكر منها و أنه لما كان قيوماً لكل الممكنات استندت كل الممكنات إليه إما بواسطة أو بغير واسطة، وعلى التقديرين كان القول بالقضاء والقدر حقاً[2] وقدرة الله تعالى لا حدود لها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة:٢٨٤، آل عمران٢٩ ،١٨٩، المائدة ١٧، ١٩ ، ٤٠، الأنفال٤١، التوبة: ٢٩، الحشر: ٦.

فهذه الجملة التي ذيلت بها كل هاتيك الآيات جاءت بعد ذكر شئ مما يعظم في النفوس والعقول فختمت الآية بتلك الجملة التي تخشع لها الجبال الراسية وتلين بها القلوب القاسية نعم عجائب ربي في الأنام كثيرة وبدائعه عظيمة وعزيزة فسبحان من خلق فأبدع وقدر فهدى.

---

(١) الألوسي : ٢١/٢٤

(٢) مفاتيح الغيب ٥/٧

وهذه بعض دلائل قدرة الله خالق القُوى والقُدر الذي لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء وآيات القرآن ناطقة بوصف الله بكل كمال جل جلاله، وآيات الكون شاهدة على أن الواحد القهار[١]

و تأمل آيَاته تعالى فِي تَدْبيره وحكمته فِي آثَار صَنعته وَدَلَائِل حسن وَتَقْدِيره فَتعلم أَنه بقدرة نَافِذَة قدرهَا وبحكمة كَامِلَة أتقنها وبعلم مُحِيط اخترعها وبسمع نَافِذ سمع حركاتها وببصر مدرك لَهَا دبر لطائف خلقهَا وغوامض كوامنها وَمَا وارته حجبها وسواترها[٢] و الله جل جلاله خلق هذا الخلق بقدرته لنؤمن بأنه القادر المقتدر قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتنزلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (١٢)﴾ الطلاق.

وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف : ٥٤.

إن شئت في فلك أو شئت في ملك *** أو شئت في مدر أو شئت في حجر

---

[١] فقد قال الفلكيون الاستراليون أن النجوم التي يمكن رؤيتها أكثر عشر مرات من عدد حبات الرمال الموجودة في شواطيء وصحاري الأرض. حيث استخدم الفلكيون الاستراليون عددا من أحدث الأجهزة الفلكية في العالم لقياس مدى بريق المجرات في أحد أجزاء الكون، وقياس عدد النجوم الموجودة بذلك الجزء. وحسب ذلك التصور، الذي قدمه العلماء خلال مؤتمر الاتحاد الفلكي الدولي في سيدني باستراليا، يبلغ عدد النجوم ٧٠ (سكستيليون) أو سبعة وإلى يمينها ٢٢ صفرا. وهذا لا يشمل سوى النجوم التي يمكن رؤيتها بالمناظير الفلكية فقط. ويقول دكتور سايمون درايفر من الجامعة الوطنية الاسترالية أن الرقم الاجمالي الفعلي يمكن أن يكون أكبر بكثير جدا جدا، وفي الحقيقة يمكن أن يكون الرقم لا نهائيا. ذكرت هذا النبأ هيئة الإذاعة البريطانية ، وفي موقعها على شبكة الإنترنت (BBC Arabic,com

[٢] ماهية العقل ص ٢٢٥

فالكل ينطق أن الله خالقه *** وهو المليك ورب النفع والضرر[١]

من دلائل قدرة الله

خلق السموات والأرض قال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١).

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾( ق:٦)، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذريات:٤٧).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم: ٢٥)، عن قَتادة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قامتا بأمره بغير عمد. يعني أن قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج: ٦٥)، ومثل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا(١٠)﴾ سورة لقمان. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ فاطر: ٤١. فالسماوات باقية إلى أجل مسمى ومن صفات هذا البقاء أنها متماسكة بقدرة الله من غير عمد محسوسة.

قال أبو مسلم الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قُل لِلَّهِ﴾ ( الأنعام : ١٢ ) قال : وهذا يدل على أن المكان والمكانيات بأسرها ملك الله تعالى وملكوته ، ثم قال : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾(الأنعام : ١٣) وهذا يدل على أن الزمان والزمانيات بأسرها من ملك الله تعالى وملكوته[٢]. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الأنعام: ٩٥) يخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة والنطفة الميتة من الإنسان الحي ، و يُخْرِجُ المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، و يُخْرِجُ الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، ويُخْرِجُ النخلة من النواة والنواة من النخلة ويُخْرِجُ السنبلة من الحبة والحبة من

[١] قاله العلامة الشيخ يوسف الدجوي في مقال نشر بمجلة الأزهر السنة العاشرة ص٦٧٢

[٢] الرازي ١٣/٧

السنبلة.![1]. والفعل المضارع (يُخْرِجُ) يدل على التجدد.

تلك العملية الدائبة التي لا تكف ولا تني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان، على سطح الأرض، وفي أجواز الفضاء، وفي أعماق البحار .. ففي كل لحظة يتم هذا التحول. بل هذه المعجزة الخارقة التي لا ننتبه إليها لطول الألفة والتكرار. في كل لحظة يُخْرِجُ حي من ميت ويُخْرِجُ ميت من حي. وفي كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة، وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام. ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات، ويوجد الغاز الذي ينطلق في الجو أو تتغذى به التربة، وتستعد للإخصاب. وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين. إنسان أو حيوان أو طائر. والجثة التي ترمى في الأرض وتختلط بالتربة وتشحنها بالغازات هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات، فالحيوان والإنسان! ومثل هذا يتم في أغوار البحار وفي أجواز الفضاء على السواء. إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير، ويراها على هدى القرآن ونوره المستمد من نور الله .. فهذا الكون خليقة حية متعاطفة متجاوبة، مطيعة لربها خاضعة خاشعة، ملبية لأمره مسبحة عابدة. والإنسان الذي يدب على هذا الكوكب الأرضي واحد من خلائق الله هذه، يسير معها في موكب واحد متجه إلى الله رب العالمين. وجاء ترتيب ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ﴾ بعد ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ يدلُّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقوم على ملكه ومن يقوم على ملك غيره فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره أما الذي يقوم على ملكه لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم

---

[1] حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ٢/١٢٤ تحقيق سيد عمران الناشر دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ . وتفسير القرآن الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ٢/٥٢٤ تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر دار ابن حزم بيروت سنة النشر ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م وتفسير السمعاني ٤/٢٠٣

سبحانه. فله كمال القيومية. وحقيقة القيام على هذا الوجود بكلياته وجزئياته في كل وقت وفي كل حالة. حقيقة هائلة حين يحاول الإنسان تصورها، وحين يسبح بخياله المحدود مع ما لا يحصيه عد من الذرات والخلايا والخلائق والأشياء والأحداث في هذا الكون الهائل؛ ويتصور – بقدر ما يملك – قيام الله – سبحانه – عليها؛ وتعلقها في قيامها بالله وتدبيره . . إنه أمر . . أمر لا يتصوره الإدراك الإنساني. وما يتصوره منه – وهو يسير – هائل يدير الرؤوس، ويحير العقول، وتطمئن به القلوب . . ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) تمثيل لحال عظمته تعالى ونفاذ قدرته ﷻ، وبيان حقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان إلى الوقوف على حقيقتها، فتلك المخلوقات هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة. فالغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أوجهة مجاز. فالأرض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون هو في يد فلان وفى قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه وفي ذلك التنبيه على مزيد جلالته عز وجل وعظمته سبحانه بإفادة أن الأرض جميعا تحت ملكه تعالى يوم القيامة فلا يتصرف فيها غيره تعالى كما قال سبحانه: ﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ﴾[١]. وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان في دار الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة دون الآخرة فالأمر فيها لله وحده ظاهرا وباطنا قال: ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[٢].

يا أيها الإنسان ماذا غرك *** أنسيت ربا قد بناك وشيدا

بعثَ السوابحَ في الفضاء تجوبه *** عرفت قريبَ مدارها و الأبعدا

---

[١] الكشاف: ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، الوسيط: ٣/٥٩٣

[٢] حاشية الجمل: ٣/٦٠٨ السراج المنير ٣/٤٦٠

أرأيتَ جرما في الخليقة عاصيا *** نقض النواميسَ العلا وتمردا

أرأيتَ نجما في المجرة عابثا *** تركَ المدارةَ أو تخطى المِقصدا

لو حادَ عن أمر الإله عظيمها[1] *** لهوى من العليا فدكَ وبددا

ولشاطَ في جو السماء محرقا وذاكرا *** من قد عصاه وعاندا

فطرت حياتك للحنيفة سمحة *** ومدار أمرك في الشريعة حددا

أرأيتَ غيركَ في الخليقة ناكثا *** خانَ الأمانةَ واستخفَ الموعدا

أيكون عقلكَ في الوجود عجيبة *** وتروحَ وحدَكَ آثما أو ملحدا

مهلا هداكَ الله ذي سنن مضت *** تركتَ خياركَ فازرعنَ تحصدا

## دلائل قدرة الله تعالى في خلقه

خلق الإنسان قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)﴾ الروم، أي: من العلامات التي تدل على أن الله عز وجل واحد لا مثل له ظهور القدرة التي يعجز عنها المخلوقون[2]. ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ كائن غير حي لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ تتصرفون في أغراضكم وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا(٥)﴾ سورة

---

[1] رحلة القلم واللسان للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ( ص ٥٦٦) دار النشر: دار منارات

[2] بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي ٨/٣ دار النشر : دار الفكر – بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي

الحج.[1] فهذه قدرة الله تعالى تجد ألوف الملايين من البشر إنما هم من رجل واحد خُلق من تراب حي أُخرج من ميت فسبحان من خلق فأبدع وقدر فهدى قال سبحانه: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء : ١) قد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب ثم جعل التراب طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة،كالفخار والفخار الخزف [2].

ومن عجائب القدرة الإلهية التنوع في خلق الكائنات الحية التي لا تعد ولا تحصى يقدر العلماء عدد أنواع المخلوقات الحية بأكثر من ٢,٥ مليون نوع وبعض العلماء قرر أنه ربما يكون هناك أكثر من ٢٠ مليون نوع غير معروفة ويكتشف العلماء منها سنوياً قرابة ١٥٠٠٠ نوع. قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨).[3]من طيور وزواحف وحيوانات برية أو مائية أو برمائية، إنسية أو وحشية منها ما علمنا ومنها ما لم نعلمه وربك يخلق ما لا تعلمون وكلها ناطقة بتسبيحه وتمجيده وتعظيمه مذعنة له ساجدة لقيوميته ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾ النور. تتفاوت هذه الكائنات فبعضها لا يرى إلا بالمجهر مثل البكتريا والآخر كبير جداً مثل الحوت الذي قد يصل طوله إلى ٣٠متراً وأشجار الصنوبريات التي قد يصل طولها إلى أكثر من

---

[1] أبو السعود ٧/٥٥ البحر المحيط ٧/١٦٢

[2] محاسن التأويل للقاسمي ١٥ / ٥٦١٧

[3] http://alftah.jeeran.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%86%D9%8A%D9%81.html

١٠٠متر مثل شجر الخشب الأحمر. كما أن بعضها يعيش على اليابسة أو في الماء أو يطير في الهواء...."[1].

ومن من دلائل قدرته وآثار رحمته أنه ينعم على خلقه بواسع كرمه وجميل عفوه ومن هذه النعم التي لايقدر عليها غيره إنزال المطر وإرسال الرياح قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾ الحجر. وقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)﴾ سورة الملك.

ومن مظاهر العظمة والقدرة الفائقة تلك الصور الكونية التي تخلب اللب وتبهر القلب وتدهش العقل تسخير البرق والرعد قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)﴾ الروم. الْبَرْق يتكون نتيجة تفريغ كهربائي في السحاب وهو من آيات الله العظيمة التي تدل على عظمة قدرته وتفرده بالألوهية والربوبية جل جلاله وعظم سلطانه ولا إله غيره. سبحان من يسبح الرعد بحمده قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾ سورة الرعد.

ومنها تقلب الليل والنهار قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ

---

[1] http://alftah.jeeran.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%86%D9%8A%D9%81.html

تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ القصص.

ومن دلائل قدرته سبحانه كشف الضر ورفع البلاء وإجابة الدعاء. قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾ الأنعام. وهذه الجملة تدل على قدرته وعظمته جل جلاله

ذكر القلب من جواه إدكار * وليال خلالهن نهار

وسجال هواطل من غمام * ثرن ماء وفي جواهن نار

ضوءها يطمس العيون وأرعا * د شداد في الخافقين تطار

وقصور مشيدة حوت الخ * ـير وأخرى خلت بهن قفار

وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار

ونجوم تلوح في ظلم اللي * ـل نراها في كل يوم تدار

ثم شمس يحثها قمر اللي * ـل وكل متابع موار

وصغير وأشمط وكبير * كلهم في الصعيد يوما مزار

وكبير مما يقصر عنه * حدسه الخاطر الذي لا يحار

فالذي قد ذكرت دل على الل * ـه نفوسا لها هدى واعتبار[1]

## تعلقات قدرة الله تعالى

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ البقرة نعم قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، وقد قال علماؤنا إن قدرة الله لا تتعلق بالمستحيل ولم يقولوا إن الله لا يقدر على المستحيل فالمستحيل لن يكون؛ فلا تتعلق به القدرة، ومع

---

[1] السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ١٤٧/١ تحقيق مصطفى عبد الواحد طبعة دار المعرفة بيروت البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ٢٩٢/٢.حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري دار إحياء التراث العربي

ذلك تجد الملحدين يتناقلون بعض الأسئلة المتناقضة المتهافتة ويذيعونها بين الناس مثل:هل يستطيع الله أن يفعل كذا؟ ويذكر شيئاً مستحيلاً مثل أن يجعل الدائرة مربعاً. نقول لهم بعض آحاد الناس يستطيع أن يجعل الدائرة مربعاً ولكنها لن تكون دائرة بل ستصبح مربعاً، فهل تريدون أن تجعلوها مربعاً ودائرة معاً، كلامكم مغالطات وأسئلتكم ترهات وأفكاركم وساوس الشياطين[1]!.

| | |
|---|---|
| يقولون أين الله؟ أين عجائبه؟ | وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه |
| يشكون والإيمان ملء قلوبهم | ويبدون ما تلك القلوب تكذبه |
| فأي امرئ في الجو يرسل طرفه | إذا ما بدت أقماره وكواكبه |
| وليس يقول : الله في عرش مجده | وهذي حواشيه وهذي مواكبه |
| وأي امرئ ما سبح الله مرة | إذا راقب الأزهار وهي تراقبه |
| عجائب ربي في الأنام كثيرة | ولكن جهل المرء لاشك غالبه[2]. |

وقيل عن ملك الله الملك القادر الغني الواسع العلى العظيم: الملكية الشاملة. كما أنها هي الملكية المطلقة . . الملكية التي لا يرد عليها قيد ولا شرط ولا فوت ولا شركة. وهي مفهوم من مفاهيم الألوهية الواحدة. فالله الواحد هو الحي الواحد، القيوم الواحد، المالك الواحد وهي نفي للشركة في صورتها التي ترد على أذهان الناس ومداركهم. كما أنها ذات أثر في إنشاء معنى الملكية وحقيقتها في دنيا الناس. فإذا تمحضت الملكية الحقيقية لله، لم يكن للناس ملكية ابتداء لشيء. إنما كان لهم استخلاف من المالك الواحد الأصلي الذي يملك كل شيء. ومن ثم وجب أن يخضعوا في خلافتهم لشروط المالك المستخلف في هذه الملكية. وشروط المالك المستخلف قد بينها لهم في شريعته؛ فليس لهم أن يخرجوا عنها؛ وإلا بطلت

---

[1] الفكرة مستفادة من كتاب الفيزياء ووجود الخالق ١٢٦ للأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس الناشر مجلة البيان الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١.

[2] قاله العلامة الشيخ يوسف الدجوي في مقال نشر بمجلة الأزهر السنة العاشرة صـ٦٧١

ملكيتهم الناشئة عن عهد الاستخلاف، ووقعت تصرفاتهم باطلة، ووجب رد هذه التصرفات من المؤمنين بالله في الأرض . . وهكذا نجد أثر التصور الإسلامي في التشريع الإسلامي، وفي واقع الحياة العملية التي تقوم عليه. وحين يقول الله في القرآن الكريم: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. فإنه لا يقرر مجرد حقيقة تصورية اعتقادية؛ إنما يضع قاعدة من قواعد الدستور للحياة البشرية ونوع الارتباطات التي تقوم فيها كذلك. على أن مجرد استقرار هذه الحقيقة في الضمير. . مجرد شعور الإنسان بحقيقة المالك – سبحانه – لما في السماوات وما في الأرض . . مجرد تصور الإنسان لخلو يده هو من ملكية أي شيء مما يقال: إنه يملكه، ورد هذه الملكية لصاحبها الذي له ما في السماوات وما في الأرض . . مجرد إحساسه بأن ما في يده عارية لأمد محدود، ثم يستردها صاحبها الذي أعارها له في الأجل المرسوم .. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيل وحده بأن يطامن من حدة الشره والطمع، وحدة الشح والحرص، وحدة التكالب المسعور. وكفيل كذلك بأن يسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق، والسماحة والجود بالموجود، وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار في الوجدان والحرمان سواء؛ فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع، ولا يتحرق القلب سعاراً على المرموق المطلوب!.

## المبحث السادس

### قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ في هذه الجملة إشارة إلى صفة الإرادة كقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ البقرة. وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾ القصص.

وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ البروج. ولأهمية الإيمان بتلك الصفة العظيمة كرر الله تعالى ذكر تفرده بالمشيئة في آية واحدة عدة فقد قال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ

مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)آل عمران. وقال جل جلاله " لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ الشورى.

وصفة الإرادة تدل على كمال العظمة والتصرف الكامل في هذا الملك.

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ هذا بيان لكبرياء شأنه ، وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة واستكانة ، فضلاً عن أن يعاوقه عناداً أو ناصبة[1].

هذه الجملة توضح مقام الألوهية ومقام العبودية . . فالعبيد جميعاً يقفون في حضرة الألوهية موقف العبودية؛ لا يتعدونه ولا يتجاوزونه، يقفون في مقام العبد الخاشع الخاضع، الذي لا يقدم بين يدي ربه، ولا يجرؤ على الشفاعة عنده، إلا بعد أن يؤذن له، فيخضع للإذن ويشفع في حدوده.وهم يتفاضلون فيما بينهم، ويتفاضلون في ميزان الله. ولكنهم يقفون عند الحد الذي لا يتجاوزه عبد. إنه الإيحاء بالجلال والرهبة في ظل الألوهية الجليلة العلية. يزيد هذا الإيحاء عمقاً صيغة الاستفهام الاستنكارية؛ التي توحي بأن هذا أمر لا يكون، وأنه مستنكر أن يكون. فمن هو هذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟ وفي ظل هذه الحقيقة تبدو سائر التصورات المنحرفة للذين جاءوا من بعد الرسل فخلطوا بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، فزعموا لله – سبحانه – خليطاً يمازجه أو يشاركه بالبنوة أو بغيرها من الصور في أي شكل وفي أي تصور، أو زعموا له – سبحانه – أندادا يشفعون عنده فيستجيب لهم حتماً. أو زعموا له – سبحانه – من البشر خلفاء يستمدون سلطانهم من

---

[1] البحر المديد١/٢٥١

قرابتهم له . . في ظل هذه الحقيقة تبدو تلك التصورات كلها مستنكرة مستبعدة لا تخطر على الذهن؛ ولا تجول في الخاطر، ولا تلوح بظلها في خيال!...

قال ابن تيمية رحمه الله: فَنَفَى عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إلَّا الشَّفَاعَةُ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ٢٨. وَقَالَ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ النجم: ٢٦، فَهَذِهِ " الشَّفَاعَةُ " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ ...أما قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ الزمر: ٤٣. فمعناه: بل أتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله تعالى في رفع العذاب وقيل: في أمورهم الدنيوية والأخروية مِن دُونِ اللَّهِ من دون رضاه أو إذنه؛ لأنه سبحانه لا يشفع عنده إلا من أذن له ومثل هذه الجمادات مأذون لها وفهم من هذا السياق ولو لم يلاحظ هذا اقتضى أن الله تعالى شفيع ولا يطلق ذلك عليه سبحانه[1]. ﴿قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ الزمر: ٤٣. أيشفعون وهم جمادات لا تقدر ولا تعلم أو أيشفعون على كل حال،أو قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الأشياء فكيف يملكوا الشفاعة ؟ ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٤٣. قال مجاهد: لا يشفع عنده أحد عنده إلا بإذنه[2]. والمعنى أنه تعالى مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا بإذنه ورضاه وكلاهما مفقودان.

﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الشفاعة جميعاً له ﷻ؛ لأنه جل وعلا مالك الملك كله فلا يتصرف أحد بشيء منه بدون إذنه ورضاه فالسماوات والأرض كناية عن كل ما سواه سبحانه. وقد بين لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما

---

[1] الشهاب ٨/ ٢٠٧

[2] الطبري : ٢٤/٨

يدلنا على عظمة الله تعالى فملكه عظيم يفعل فيه ما يشاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ: "رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ"[1].

## المبحث السابع

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قيل: أي أمر الدنيا، وما خلفهم أي أمر الآخرة[2]. وقيل: ما يدركونه وما لا يدركونه، أو ما يحسونه ويعقلونه، والمقصود عموم العلم بسائرِ الكائنات. قال الألوسي: والكل محتمل، ووجه الإطلاق فيه ظاهر[3]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

﴿مِّنْ عِلْمِهِ﴾: أي من معلوماته .. والمعنى: لا يعلم أحد كُنه شيء ما، من معلوماته تعالى إلا ما شاء الله أن يعلمه.

وعطفت هذه الجملة على ما قبلها لمغايرتها لها؛ لأن ذلك يُشعر بأنه سبحانه يعلم كل شيء، وهذه تُفيد أنه لا يعلمه غيره ومجموع الجملتين دال على تفرده تعالى بالعلم الذاتي الذي هو من أصول صفات الكمال التي يجب أن يتصف الإله تعالى شأنه بها بالفعل ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فهو وحده الذي يعلم كل شيء علماً مطلقاً شاملاً كاملاً. وهو – سبحانه – يتأذن فيكشف للعباد بقدر عن شيء من علمه كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ الجن: ٢٦، ٢٧. فائدة (ما) ؟ ما تحتمل معنيين في اللغة. وهنا تحتمل أن تكون مصدرية

---

[1] مسلم معه النووي ٤/١٩٢

[2] الطبري ٥/٣٩٥ عن الحكم بن عتيبة و مجاهد وقتادة وابن جريج والسدي.

[3] المحرر الوجيز ١/٣٣٥ التحرير والتنوير ٣/٢٢

بمعنى (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بمشيئته) وتحتمل أن تكون اسماً موصولاً بمعنى (إلا بالذي شاء) وهنا جمع المعنيين أي لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه أي بالعلم الذي يريد وبالمقدار الذي يريد. المقدار الذي يشاؤه نوعاً وقدراً.

وبقدر ما أذن الله للإنسان في علم جانب ما وكشف له عنه، بقدر ما زوى عنه أسراراً أخرى لا حاجة له بها . . زوى عنه سر الحياة وما يزال هذا السر خافيا، وما يزال عصيا، وما يزال البحث فيه خبطا في التيه بلا دليل! وزوى عنه سر اللحظة القادمة. فهي غيب لا سبيل إليه. والستر المسدل دونها كثيف لا تجدي محاولة الإنسان في رفعه . . وأحياناً تومض من وراء الستر ومضة لقلب مفرد بإذن من الله خاص، ثم يسدل الستر ويَسُود السكون، ويقف الإنسان عند حده لا يتعداه! ومع ذلك يفتن الإنسان بذلك الطرف من العلم، الذي أحاط به بعد الإذن. يفتن فيحسب نفسه في الأرض إلهاً! ويكفر فينكر أن لهذا الكون إلهاً! وإن يكن هذا القرن العشرون قد بدأ يرد العلماء حقاً إلى التواضع والتطامن. فقد بدأوا يعلمون أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً! وبقي الجهال المتعالمون الذين يحسبون أنهم قد علموا شيئاً كثيراً!.

و لما بين قهره لهم بعلمه المحيط بين عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بحلمه فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ﴾ لا قليل ولا كثير ﴿مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فبان بذلك ما سبقه من الصفات؛ لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته، فكان منزهاً عن الكفوء متعالياً عن كل عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلا بإذنه؛ لأنه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده[1].

ولا وجه للمقارنة بين علم الخالق وعلم المخلوق مهما أوتى من علم بل علمه هذا عَلَّمه إياه العليم الخبير، فالله عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

[1] نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ١/٤٩٤ بتصرف

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ الأنعام. ويعلمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذه المفاتح فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ"[(١)].

وقد جاء تفسير هذه المفاتح في سورة لقمان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾.

وتحدث ابن القيم بلطف في بيان سر هذا الغيب قال رحمه الله: "كذلك أعطاهم من العلوم المتعلقة بصلاح معاشهم ودنياهم بقدر حاجاتهم كعلم الطب والحساب ... وغير ذلك مما فيه قيام معايشهم. ثم منعهم سبحانه علم ما سوى ذلك مما ليس في شأنهم ولا فيه مصلحة لهم ولا نشأتهم قابلة له، كعلم الغيب وعلمِ ما كان وكلّ ما يكون ... وعلمِ ما فوق السموات وما تحت الثرى، وما في لجج البحار وأقطار العالم، وما يُكِنُّه الناس في صدورهم، وما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، إلى سائر ما عزب عنهم علمه، فمن تكلف معرفة ذلك فقد ظلم نفسه وبخس من التوفيق حظه، ولم يحصل إلا على الجهل المركب والخيال الفاسد في أكثر أمره"[(٢)].

عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ: لِلَّهِ تَعَالَى مَعْلُومَاتٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَلَهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ مَعْلُومَاتٌ أُخْرَى لَا نِهَايَةَ لَهَا عَلَى الْبَدَلِ، وَهُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ

---

(١) البخاري رقم: ٦٨٣١

(٢) مفتاح دار السعادة: لابن القيم ١/٢٨٢ دار الكتب العلمية – بيروت

عَلَى التَّفْصِيلِ،[1] فالله جل جلاله عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات، عالم الغيب لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال. ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)﴾ الرعد.

يقول المحاسبي: وَقد امتدح الله جلّ وَعز بِعلم مَا قد كَانَ وَمَا سَيكون وَمَا لَا يكون أَو كَانَ كَيفَ كَانَ يكون فمدح نَفسه بِعلم جَمِيع الغيوب فَقَالَ جلّ من قَائِل: ﴿وَرَبُّكَ أَعلَمُ بِمن فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ﴾ وَقَالَ: "وَهُوَ الله فِي السَّمَاوَات وَفِي الأَرْض يعلم سركم وجهركم" وَقَالَ "عَالم الْغَيْب وَالشَّهَادَة" وَقَالَ "علم الله أَنكُمْ ستذكرونهن" وَقَالَ "علم أَن سَيكون مِنْكُم مرضى" الْآيَة وَأخبر بِمَا لَا يكون أَو كَانَ كَيفَ كَانَ كَيفَ يكون فَقَالَ عز وَجل "وَلَو ردوا لعادوا لما نهوا عَنهُ" وَقَالَ "لَئِن أخرجُوا لَا يخرجُون مَعَهم وَلَئِن قوتلوا لَا ينصرونهم" فَأخْبر أَنه قد علم أَنهم لَو نصروهم لولوا الأدبار وَإِنَّمَا قَوْله "حَتَّى نعلم" "وَلما يعلم" "وليعلمن" إِنَّمَا يُرِيد حَتَّى يرَاهُ فَيكون مَعْلُوما مَوْجُودا لِأَنَّهُ لَا جَائِز أَن يكون يعلم الشَّيْء مَعْدُوما قبل أَن يكون ويعلمه مَوْجُودا كَائِنا فَيعلم فِي وَقت وَاحِد أَنه مَعْدُوم مَوْجُود أَنه قد كَانَ وَأَنه لم يكن بعد وَهَذَا الْمحَال[2] فالله جل جلاله عالم بالمغيبات كليها وجزئيها، وأنه لا

---

[1] البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٩٧) لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

[2] فهم القرآن صـ٣٣٩، ٣٤٠

يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ الملك. وإن تصور البعض أنه بمنأى عن علم الله تعالى فالله ﷻ يحذره: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ آل عمران. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ الزخرف. السر عند الله علانية والغيب شهادة ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾ طه؛ فالله رقيب شاهد، قريب يسمع ويرى، ومن أسمائه الحسنى "الشهيد" الذي يدل على هذا العلم الحضوري الذي تنكشف له به الأشياء كلها انكشافاً تاماً بلا سبق خفاء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)﴾ يونس. وعلمه سبحانه علم إحاطة فهو وحده عالم الغيب ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ سبأ. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ الحديد. وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ المجادلة.

وهذه الحقيقة بطرفيها تساهم كذلك في تعريف المسلم بإلهه، وفي تحديد مقامه هو من إلهه. فالله يعلم ما بين أيدي الناس وما خلفهم. وهو تعبير عن العلم الشامل الكامل المستقصي لكل ما حولهم. فهو يشمل حاضرهم الذي بين أيديهم،

ويشمل غيبهم الذي كان ومضى والذي سيكون وهو عنهم محجوب. كذلك هو يشمل ما يعلمونه من الأمور وما يجهلونه في كل وقت. وهو على العموم تعبير لغوي يفيد شمول العلم وتقصيه . . أما هم فلا يعلمون شيئاً إلا ما يأذن لهم الله أن يعلموه . .

وشطر الحقيقة الأول . . علم الله الشامل بما بين أيديهم وما خلفهم . . من شأنه أن يحدث في النفس رجة وهزة. النفس التي تقف عارية في كل لحظة أمام بارئها الذي يعلم ما بين يديها وما خلفها.

يعلم ما تضمر علمه بما تجهر. ويعلم ما تعلم علمه بما تجهل. ويعلم ما يحيط بها من ماض وآت مما لا تعلمه هي ولا تدريه . . شعور النفس بهذا خليق بأن يحدث فيها هزة الذي يقف عرياناً بكل ما في سريرته أمام الديان؛ كما أنه خليق بأن يسكب في القلب الاستسلام لمن يعرف ظاهر كل شيء وخافيه.

وشطر الحقيقة الثاني . . أن الناس لا يعلمون إلا ما شاء الله لهم أن يعلموه . . جدير بأن يتدبره الناس طويلاً. وبخاصة في هذه الأيام التي يفتنون فيها بالعلم في جانب من جوانب الكون والحياة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ قَالَ الْآخَرُ يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ...﴾ الْآيَةَ[1].

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يوماً فلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ، ولكنْ قُلْ عليَّ رَقِيبُ

---

[1] البخاري رقم: ٦٩٦٧

ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ ساعَةً ... ولا أَنَّ ما يَخْفَى عليك يَغِيبُ[1]

لطيفة:

بيان صلة العلم بالشفاعة وعدمها

نلاحظ من الآيات التي تحدثنا عنها في أمر الشفاعة ارتباط الشفاعة بالعلم؛لأن الذي يأذن في الشفاعة هو الذي يعلم كل شيء يعلم من يستحق أن يكون شافعاً ومن لا يستحق ومن يستحق أن يُشفع له، ومن لا يستحق فهو العليم القدير الفعال لما يريد سبحانه له كل كمال، منزه عن أي نقص جل جلاله وعظم سلطانه.ولأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته ، فكان مُنزهاً عن الكفوء متعالياً عن كل عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلاّ بإذنه، لأنه يُسبب له ما يمنعه مما لا يريده[2].

## المبحث الثامن

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

وهذه ثلاث جمل تدل على كمال العظمة والسلطان والقدرة القهر.

وحتى لا نعيد ما قلناه من قبل، نختصر الكلام هنا لذا جمعنا هذه الجمل الثلاث في هذا المبحث.

فقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

---

[1] البيت بديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ص ٦١٥.حققه أحمد عبد المجيد الغزالي " دار الكتاب العربي بيروت"

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/٤٩٤

الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء[١]. وقيل: هو العرش نفسه. وقيل: قدرة الله تعالى وقيل: تدبيره. وقيل: ملك من ملائكته. وقيل: مجاز عن العلم من تسمية الشئ بمكانه؛ لأن الكرسي مكان العالم الذي فيه العلم فيكون مكانا للعلم بتبعيته وحكى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[٢]، وقيل: مجاز عن الملك أخذا من كرسي الملك. وقيل: أصل الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد والكلام مساق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى شأنه وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة؛

ففى الكلام استعارة تمثيلية وهذا الذي اختاره الجم الغفير من الخلف فراراً من توهم التجسيم... والحق أنه ثابت وأنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ولا امتناع في القول به فوجب القول بإتباعه، كما نطقت به الأخبار الصحيحة وكما قال الرازي:... لأن ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز[٣] . وفي حديث أبي ذر قال: "دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس وحده... وفيه قلت: يا رسول الله فأي ما أنزل الله عليك أعظم ؟ قال: (آية الكرسي) ثم قال: (يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)[٤]. لمثل هذا الحديث قال الإمام ابن

---

[١] التسهيل لابن جزي ٨٩/١

[٢] و لايصح عنه

[٣] روح المعاني ١٠/٣ مفاتيح الغيب ١١/٧ القرطبي ٢٧٧/٣

[٤] الأسماء والصفات للبيهقي ٢ / ٤٠٣ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان للحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي رقم: ٣٦١) ٧٧/٢-٨١ قال ابن حجر : صححه ابن حبان و له شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور فى التفسير بسند صحيح عنه "فتح الباري ١٣ / ٤١١

عطية: والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه[1].

فالكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش وهو جرم قائم بنفسه وليس شيئاً معنوياً.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[3]

## تأملات في عظمة خلق الله:

يقول جار الله الزمخشري: وفي النصائح الصغار: املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكرا في قدرة مقدّرها، متدبرا حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر[4]

أين أنت من عدة مليارات من البشر وما حجمك بجوار عمارة بجوار جبل بالنسبة للأرض حتى لا نتيه بين المسافات والأحجام لنتفق على وحدة قياس منها المبتدأ وإليها المنتهى .. مساحة المسجد النبوي ٣٠٢،٥٠٠ م مربع وعلى اعتبار أن مساحة المدينة المنورة ٥٠٠ كم مربع فإنها تكبر المسجد النبوي بـ ١٦٦٧ ضعفاً! والجزيرة العربية ( مساحتها ٣،١٠٠،٠٠٠ كم مربع ) أكبر من مساحة المدينة المنورة بـ ٦٢٠٠ مرة ! .. وفوق كل كبير أكبر منه فمساحة قارة آسيا أكبر من مساحة الجزيرة العربية بـ ١٤ مرة! أما مساحة كوكب الأرض فأكبر من مساحة آسيا

[1] المحرر الوجيز ١/٣٤٢

[2] البخاري رقم: ٦٨٧٩

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٢٣)

[4] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٥٢)

بـ ١١ مرة ! .. ولكن هل كوكب الأرض أكبر شيء في الوجود ؟ .. بالتأكيد لا .. فالله تعالى خلق كوكب المشتري أكبر من الأرض بـ ١٣٠٠ مرة !! وكوكب المشتري العملاق يعتبر قزماً أمام الشمس، التي تكبر الأرض بـ ١،٣٠٠،٠٠٠ مرة .. بعبارة أخرى إذا تخيلت أن الشمس بحجم كرة السلة فإن الأرض ستكون بحجم رأس القلم فحسب ! .. ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ النازعات ٢٧.

في منزلك قارن حجم

الإضاءة والتكييف مع حجم غرفتك فستجد أنها لا تشكل ٠,١% .. بينما نجد أن حجم الشمس والتي نستمد منها الإضاءة والحرارة أكبر من حجم كوكب الأرض بل والكواكب مجتمعة بآلاف المرات !! .. فهل سألت نفسك يوماً ما الحكمة في كل هذه العظمة ؟ ما الحكمة في حجمها ؟ وما الحكمة في قوة أتونها ونارها ؟. وتبقى الشمس العظيمة المهيبة نجماً متواضعاً عند مقارنتها بنجوم أخرى أودعها الخالق في سمائه وقال لنا: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ق: ٦؛ فلما نظر الإنسان وجد أن نجم الشعرى اليمانية Sirius ألمع نجم في السماء ويكبر شمسنا بنحو ٨ مرات. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ النجم :٤٩، فالشعرى أكبر من الأرض بـ ١٠ مليون مرة

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يونس: ١٠١، إذا أمعنا النظر أكثر في السماء عبر البصر والبصيرة سنجد أن نجم الهَنعَة Pollux هو أكبر من شمسنا بنحو ٥١٢ مرة وأكبر من أرضنا بـ ٦٦٣ مليون مرة .. فلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والله أكبر وأعظم .. أما نجم السماك الرامح Arcturus فأكبر من شمسنا بـ ٣٠ ألف مرة .. وأكبر من أرضنا بـ ٤٠ بليون مرة ..

أما نجم رجل الجوزاء Rigel فهو أكبر من شمسنا بـ ٣٤٣ ألف مرة .. وأكبر من أرضنا بـ ٤٠٠ بليون مرة !! ..

أما نجم بيت الجوزاء Betslgeuse فأكبر من شمسنا بـ ٢٧٤ مليون مرة .. لذا فهو أكبر من أرضنا بـ ٣٥٥ ترليون مرة !! .. ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ غافر:٥٧. .

النجوم أفران نووية مخيفة ومهيبة يتفطر لها قلب الإنسان هولاً وخوفاً عندما يتأمل ويتدبر ويتفكر بحجمها أو موقعها ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ النجم:٧٥، ٧٦. الصورة التالية تعجز الكلمات البشرية عن ترجمتها ووصفها وبيانها .. ولن يفي أبعاد الصورة الحقيقية إلا خالقها ﷻ حيث قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ﴾ صدق الخالق العظيم ..

أما النجم الأحمر العملاق قلب العقرب أنتيرس Antares ؟ .. والذي يكبر الشمس بـ ٣٤٣ مليون مرة !! .. ويبعد عنا ٦٠٠ سنة ضوئية.. والمخيف أنه لو افترضنا أن نجم قلب العقرب العملاق حل مكان الشمس لبلع كل من عطارد والزهرة والأرض والمريخ وما بينهما من فضاء وسماء نظير حجمه المتعاظم و أنتيرس أشد إشعاعاً من الشمس بـ ١٠،٠٠٠ مرة !! ...

ما سلف كان جانباً يسيراً ضئيلاً صغيراً من ملكوت الله في سمائه .. وهي بضعة نجوم مختلفة الأحجام تمت المقارنة بينها وبين شمسنا ..... الآن أدعوك إلى التعرف على أكبر نجم مكتشف حتى الآن هو VY Canis Majoris ويبعد عنا ٥ آلاف سنة ضوئية ويفوق الشمس حجماً بـ ٩،٢٦١،٠٠٠،٠٠٠ أي ٩ بليون و ٢٦١ مليون مرة !! وحتى تدرك عظمة الخالق في خلقه .. لو افترضنا أنك تسير بسرعة ٥ كم في الساعة وبدون توقف لاستغرقت سنة من أجل الدوران على محيط الأرض فقط .. بينما من أجل الدوران حول محيط الشمس ستحتاج إلى ١٠٤ سنوات !! .. بينما الطواف حول محيط أكبر نجم مكتشف يستغرق ٢١٧ ألف سنة !! .. أرأيت مخلوقاً بهذا الحجم ؟ .. وكم يا ترى تساوي الأرض عند هذا النجم ؟ ... النجوم هي وحدة بناء المجرات .. ومجرتنا مجرة التبانة تحتوي على

ملايين بل بلايين النجوم والشموس ! .. وهذه المعطيات الرقمية ليست نظرية وإنما مشاهدة حقيقية .. ويقدر العلماء طول مجرة التبانة بـ ١٠٠،٠٠٠ سنة ضوئية أي ما يعادل

( ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ، ٠٥١، ٤٢٤ ، ٩٤٥ ) كم ( تسعمائة وخمس وأربعين كوادرليون وأربعمائة وأربع وعشرين ترليون وإحدى وخمسين بليون ومائتين مليون كم )[1] ويقدر عدد نجومها بين ٢٠٠ – ٤٠٠ بليون نجم .. وفي السماء الدنيا بلايين المجرات وكل مجرة تحتوي على بلايين النجوم !! .. والعلماء كلما طوروا مناظيرهم العملاقة اكتشفوا المزيد والكثير من المجرات العظيمة .. وحجم السماء أكبر وأعظم من أن يستوعبه العقل البشري أو يدركه الذهن الإنساني بل ولا حتى الحاسب الآلي .. ويكفي أن نذكر هنا أن متوسط قطر المجرات يساوي ٣٠،٠٠٠ سنة ضوئية .. بينما تقدر المسافة الوسطية بين كل مجرتين بـ ٣ مليون سنة ضوئية ! .. فعندها ندرك قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ فجعلها واسعة الأرجاء ممتدة البناء لحكمة شاءها خالق الأرض والسماء ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ بل

---

[1] الألف بليون (١٥صفراً) ويطلق عليه الأمريكان كوادرليون! فبعد المليار هناك البليون الذي يضم (١٢صفراً) ويطلق عليه الأمريكان ترليون!

– وبعد البليون هناك الالف بليون (١٥صفراً) ويطلق عليه الأمريكان كوادرليون!

– وبعد ذلك يأتي الترليون (١٨صفراً) ويطلق عليه الأمريكان كوانتيليون!

– وبعد الترليون هناك الألف ترليون ( ٢١صفراً) ويطلق عليه الأمريكان سيكستيليون!

– وبعد ذلك يأتي الكوادرليون ( ٢٤صفراً) ويطلق عليه الأمريكان سيبتليون!

– وبعد ذلك يأتي الألف كوادرليون (٢٧صفراً) ويطلق عليه الأمريكان أوكتليون!

– ثم يأتي الكوانتيليون ( ٣٠صفراً) ويطلق عليه الأمريكان نونيليون!

– وبعد ذلك يأتي الألف كوانتيليون (٣٣صفراً) ويطلق عليه الأمريكان ديكيليون!

– وبعده السيكستيليون ( ٣٦صفراً) ويطلق عليه الأمريكان اندكليون!

– ثم الألف سيكستيليون ( ٣٩صفراً) ويطلق عليه الأمريكان ديوديكليون!

– ويأتي بعد ذلك السيبتليون ( ٤٢صفراً) ويطلق عليه الأمريكان تريدكليون! هذه الأسماء توجد على عشرات المنديات على الانترنت منها

http://www.alokab.info/forums/index.php?s=

السماء ﴿رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾

وعلى مستوى الكون المكتشف والمنظور ( فقط ) فإن أحدث تقدير علمي لعرض الكون يقدر بـ ١٥٦ بليون سنة ضوئية، الحقيقة أن الكلمات وحتى الأرقام تعجز عن وصف سعة الكون وما يختزنه من خلق عظيم ومدهش .. وعظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق .. والتدبر في خلق الله والتفكر في الكون والتأمل في الوجود حتماً يرسخ الإيمان في القلوب .. فيتعاظم خالق الوجود فيه فيدفعه ذلك إلى الخشوع والإذعان له سبحانه وتعالى وهو أولى من الجماد ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١. هذا هو الموجود المخلوق فكيف بالموجد الخالق ؟ .. هل شرقتم بحجم ومساحة وسعة السماء المنظور؟ .. أتريدون أن تقرؤوا عن مخلوق يتيم يكبر السماوات والأرض ؟ .. ولم يشاهده من البشر أحد .. ولم يخلق مثله في الوجود أبدا .. ودونك وصفه من الواحد الأحد حيث قال : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .. سبحان الله والله أكبر وأجل وأعظم .. خلق من خلقه يسع كل ما أدركناه وما لم ندركه وما أبصرناه وما لم نبصره وما صدقته عقولنا وما لم تصدقه .. فلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والله أكبر وأعظم وأجل أي كرسي هذا ؟ .. وأي خلق عظيم مهيب مخيف هذا ؟ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾. الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، .. والعرش ما العرش ؟ وما أدراك ما العرش ؟ .. أعظم وأكبر من الكرسي قال ابن عباس رضي الله عنه: ( الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى )[1] .. وقال الحبيب عليه الصلاة والسلام : ( ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ) .. تأمل مقارنة المصطفى عليه الصلاة والسلام بين الكرسي والعرش .. وتدبر وحدات القياس التي استخدمها بأبي

[1] الأسماء والصفات للبيهقي ٢ / ٣٠١

هو وأمي .. شيء يفوق حجماً وهولاً صور المقارنة بين النجوم السالفة الذكر .. بل ويؤكد بشكل غير مباشر صحة الأحجام والمسافات التي تحدثنا عنها سلفاً .. كما يؤكد أن ما لم نبصره من الخلق أعظم مما أبصرناه وفي هذه المقالة عرضناه ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ الصافات ...فإذا كان هذا هو الخلق فكيف بالخالق الجبار ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات : ١٨٠. و ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)﴾ الزخرف. و ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ الأنبياء.[١]. هذا وقد كشف علماء فلكيون أن انفجارا هائلا لنجم كبير بالقرب من حافة الكون التي يمكن رصدها قد يكون هو الشيء الوحيد الأكثر بعدا عن الأرض، والذي تم اكتشافه حتى الآن بواسطة منظار. وكان موقع الجسم المكتشف على مسافة ١٣,٠٤ مليار سنة ضوئية من الأرض، وهو بالتالي أبعد جسم عن الكون ويمكن رصده، وإن كان هذا الافتراض مؤقتا حتى يثبت العكس. ويعني هذا أن الضوء الناجم عن الانفجار كان قد استغرق ١٣,١٤ مليار سنة للوصول إلى الأرض[٢].

هذا عن النجوم والمجرات ولكن ماذا نقول عن الملائكة وعن حملة العرش؟!

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ

---

[١] http://www.faresandbehar.com/vb/showthread.php?t=194 وكذلك http://www.almisnid.com/almisnid/articles.php?id=٢٧

[٢] http://www.bbc.co.uk/arabic/scienceandtech/2011/05/110525_cosmic-distance.shtml

عَامٍ"[١]. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ؟ ". قال الهيثمي: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ رَبَّنَا " قَالَ: "فَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا". أخرجهُ الحَاكِمُ فِي المستَدرَكِ وقالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "[٣]

وقال عنه الحافظ المنذري: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ بِإِسْنَاد صَحِيح وَالْحَاكِم وَقَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد. وقال الهيمثي فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما أي حفظ السماوات والأرض، وهذه الجملة تدل عن عظمة مخلوقات الله تعالى، والمستفاد من ذلك عظم قدرته إذ (وَلَا يَئُودُهُ) حفظ هذا الأمر العظيم[٤]، والحفظ كما قال الحرالي: الرعاية لما هو متداع في نفسه فيكون تماسكه بالرعاية له عما يوهنه أو يبطله — في قيوميته كما يثقل غيره أو يعجزه حفظ ما ينشئه بل هو عليه يسير؛ لأنه لو أثقله لاختل

---

[١] سنن أبي داود (٤/ ٢٣٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٩٤٨)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٥٨)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٨٤) قال ابن حجر: إسناده على شرط الصحيح "فتح الباري ٨/٦٦٥"

[٢] مسند أبي يعلى الموصلي (١١/ ٤٩٦)،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٨٠)

[٣] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٣٠) المعجم الأوسط (٧/ ٢٢٠)، العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ١٠٠٤) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٣٨٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ١٨١)

[٤] الكشاف ٣٢٨/١ الرازي ١٢/٧ القرطبي ٢٧٨/٣

أمرهما ولو يسيراً، ولقدر غيره–أي غير الله– ولو يوماً ما على غير ما يريد الله[1] وهو محال.

(وَهُوَ) أي مع ذلك كله المتفرد بأنه الْعَلِيُّ أي الذي لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبته الْعَظِيمُ كما أنبأ عن ذلك افتتاح الآية بالاسم العلم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى علواً وعظمة تتقاصر عنهما الأفهام لما غلب عليها من الأوهام، ونظم الاسمين هكذا دال على أنه أريد بالعظم علو الرتبة وبعد المنال عن إدراك العقول ، وقد ختمت الآية بما بدئت به غير أن بدأها بالعظمة كما قال الحرالي كان باسم "الله" إلاحة وختمها كان بذلك إفصاحاً[2].

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ). وهذه خاتمة الصفات في الآية، تقرر حقيقة، وتوحي للنفس بهذه الحقيقة. وتفرد الله سبحانه بالعلو، وتفرده سبحانه بالعظمة. فالتعبير على هذا النحو يتضمن معنى القصر والحصر. فلم يقل وهو عليّ عظيم، ليثبت الصفة مجرد إثبات. ولكنه قال: (الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) ليقصرها عليه سبحانه بلا شريك!

إنه المتفرد بالعلو، المتفرد بالعظمة. وما يتطاول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخفض والهون، وإلى العذاب في الآخرة والهوان. وهو يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ القصص: ٨٣. ويقول عن فرعون في معرض الهلاك: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ ويعلو الإنسان ما يعلو، ويعظم الإنسان ما يعظم، فلا يتجاوز مقام العبودية لله العلي العظيم. وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان، فإنها تثوب به إلى مقام العبودية وتطامن من كبريائه وطغيانه، وترده إلى مخافة الله ومهابته، وإلى الشعور بجلاله وعظمته، وإلى الأدب في حقه والتحرج من الاستكبار على عباده. فهي اعتقاد وتصور. وهي كذلك عمل وسلوك.

---

[1] نظم الدرر بتصرف ٤٩٧/١

[2] نظم الدرر بتصرف ٤٩٧/١

## لطائف تفسيرية:

١-كررت في الآية الأسماء الشريفة ظاهرة ومضمرة سبع عشرة مرة بل إحدى وعشرين، ولم يتضمن هذا المجموع آية غيرها في كتاب الله[(١)].

٢- ذكرت في بداية الآية صفتين من صفات الله تعالى (الحيّ القيّوم) وانتهت بصفتين (الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) وكل جملة في الآية تدل على أنه الحيّ القيّوم والعليّ العظيم سبحانه تقدست صفاته. فالذي لا إله إلا هو: هو الحي القيوم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو: حيّ وقيّوم والذي له ما في السموات وما في الأرض أي المالك والذي يدبر أمر ملكه هو: الحيّ القيوم والذي لا يشفع عنده هو: الحي القيوم ولا يشفع إلا بإذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو: الحيّ القيّوم القيّم على الآخرين والذي وسع كرسيه السموات والأرض هو: الحيّ القيّوم والذي لا يؤده حفظهما هو: الحيّ القيّوم لأن الذي يحفظ هو: الحي القيوم وهو: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

والحي القيوم هو: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي له ما في السموات والأرض والذي لا يشفع عنده إلا بإذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شاء هو: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فكل جملة في آية الكرسي المباركة تدلّ على أنه: الحيّ القيّوم والْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .[(٢)].

---

(١) نظم الدرر بتصرف ٤٩٨/١

(٢) لمسات بيانية٣٩ في نصوص من التنزيل للدكتور / فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

## المراجع

* الله والعلم الحديث عبدالرزاق نوفل دار الشروق طبعة خاصة للهيئة المصرية العامة للكتاب " مكتبة الأسرة"١٩٩٨ .

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي دار إحياء التراث العربي بيروت.الجمل

* إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥

* إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥.

* البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
تحقيق مجموعة من دارالنشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م

* بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي دار النشر : دار الفكر – بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي

* التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤

* الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي صـ١٩٢ معه تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود تحقيق أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العنين الناشر دار الفضيلة الأولى ١٤٢٠-١٩٩٩ .

* تفسير ابن عرفة المالكى لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة ٧٢٥/٢ دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس - ١٩٨٦ م الطبعة : الأولى تحقيق : د. حسن المناعي

* تفسير سورة الفاتحة لشيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة.

* تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق : سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

* التفكر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية الدكتور مالك بدري الناشر دار الوفاء الطبعة الثانية ١٤١٣-١٩٩٢.

* حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي    تحقيق سيد عمران الناشر دار الكتب العلمية  ١٤٢١هـ - ٢٠٠١
* الحكمة في مخلوقات الله  تحقيق  محمد رشيد قباني  دار إحياء العلوم بيروت  ١٩٧٨-١٣٩٨
* الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي الناشر دار الفكر بيروت ١٩٩٣ .
* الدر المصون  في علوم الكتاب المكنون.للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد محمد الخراط دار القلم دمشق ط ١ -١٩٨٦
* روح البيان للإمام إسماعيل حقي البروسوي  دار إحياء التراث العربي بيروت .
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
للعلامة شهاب الدين محمود الألوسي المنيرية الطبعة الأولى — سنة   ١٩٨٥ .
* زاد المسير في علم التفسير  .  للإمام عبد الرحمن بن على الجوزي تحقيق محمد السيد الجليند المكتب الإسلامي بيروت .
* السراج المنير للإمام الخطيب الشربيني  المعرفة بيروت
*- سنن الترمذي
مع تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . . .  للإمام الحافظ أبي العلاء  محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم    دار الكتب  العلمية  - بيروت -  الطبعة  الأولى ١٩٩٠
* سنن أبي داود. . . .  للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني  دار الريان للتراث سنة ١٩٨٨
* سنن ابن ماجه. للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني   دار الريان للتراث سنة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
* سنن النسائي.للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب   بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي ار الريان للتراث سنة ١٩٨٧
* صحيح البخاري ( معه فتح الباري...لابن حجر تحقيق محب الدين الخطيب دار الريان للترات .
* صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي... طبعة الحلبي

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني  طبعة دار المعرفة بيروت .

* الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. "حاشية الجمل على الجلالين" للشيخ سليمان بن عمر الجمل طبعة الحلبي .

* الكشف والبيان للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت  ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق عبد الرزاق المهدي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

* اللباب في علوم الكتاب  لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م الطبعة : الأولى تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض

* ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه للإمام  الحارث بن أسد المحاسبي (المتوفى: ٢٤٣هـ) المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي ، دار الفكر – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٨

* محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي  علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي  ط الحلبي .

* المحرر الوجيز القاضي أبي محمد عبد الحميد بن غالب ابن عطية الأندلسي ط مكتبة  ابن تيمية  القاهرة : ١٤١٣ ، ١٩٩٢ تحقيق المجلس العلمي بفاس .

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر    ١٤٠٨.- ١٩٨٨ م - دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

* مشكل إعراب القرآن للإمام مكي بن أبي طالب القيسي   الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ تحقيق : د. حاتم صالح الضامن

* معا لم التنزيل  للإمام محيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

* معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني الناشر معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة

معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ للإمام محمد بن عبدالله بن بهادر أبو عبدالله بدر الدين الزركشي الناشر : دار الإعتصام – القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ تحقيق : علي محي الدين علي القره داغي

*المفردات لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقبق محمد السيد الكيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١هـ، ١٩٦١ م

* المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم د زغلول النجار مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولي ١٤٢٣-٢٠٠٢ * مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي الناشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

* من آيات الإعجاز العلمي للقرآن د/ زغلول النجار مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولي ١٤٢٣-٢٠٠٢ ومجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة – مكة المكرمة د/ زغلول النجار .

* الوسيط للإمام أبي الحسن على بن أحمد الواحدي الناشر مكتبة الباز تحقيق مجموعة من المحققين.الطبعة الأولى ١٤١٥-١٩٩٤

ومراجعته : علي محمد الضباع –شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية .

* نظرات في الاستدلال القرآني ا.د /عبدالستار فتح الله سعيد الطبعة الأولى ١٢٤٨-٢٠٠٧ الناشر مؤسسة اقرأ.

* حقائق التفسير للسلمي أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي تحقيق سيد عمران الناشر دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م

*شرح البسملة والحمدلة للعلامة زكريا الأنصاري تحقيق ربيع بن أحمد خلف وآخرين طبعة الإيمان الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٧

* فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف

المناوي ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م

بعض مواقع الانترنت

http://www.nooran.org/index.htm

http://www.thakafa.net/vb/showthread.php?t=
،http://www.biochemistry

.html all.com/forums/archive/index.php/t-
http://www.scribd.com/doc/
http://www.almeshkat.net/vb/archive/index.php/t-
http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=15
43&select_page
http://www.almesryoon.com/ShowDetails.asp?NewID=4
2294&Page=13



# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

